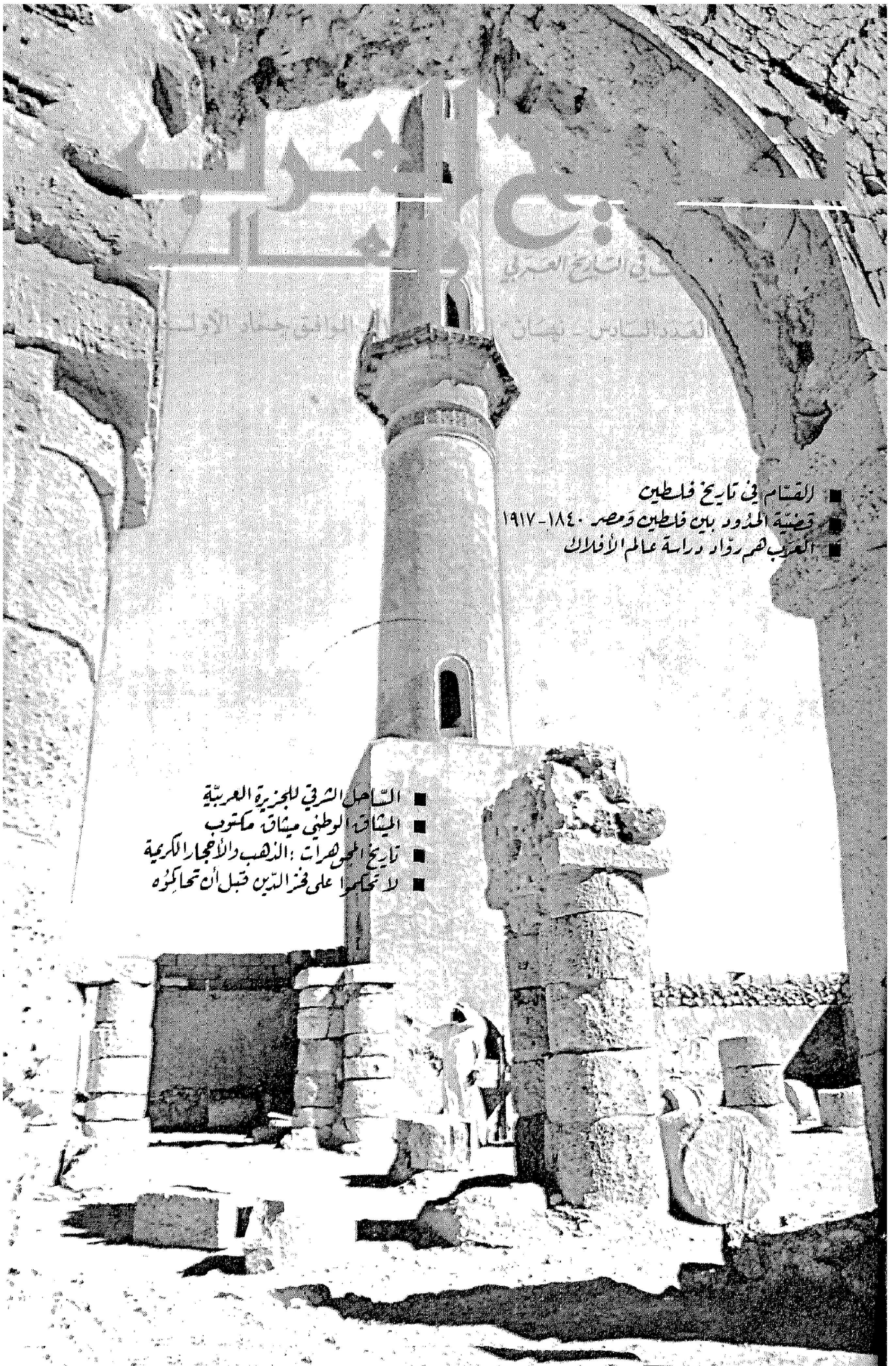

القسّام في تاريخ فلسطين
قضيّة الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠-١٩١٧
العرب هم روّاد دراسة عالم الأفلاك
السّاحل الشرقي للجزيرة العربيّة
الميثاق الوطني ميثاق مكتوب
تاريخ الجوهرات: الذهب والأحجار الكريمة
لا تحاكموا على فخر الدّين قبل أن تحاكموه


بسمارك
رائد الوحدة الألما

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد السادس
نيسان (ابريل) ١٩٧٩
جماد الأول ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع الساادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

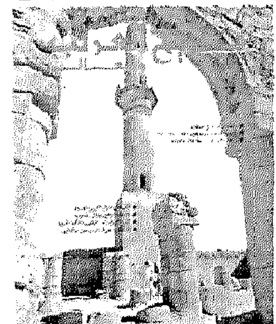
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 6 April, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هـــذا العـــدد

● المقالات الواردة توزَّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتّاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع — الصفحة



جامع سوق الخميس
أقدم جوامع الخليج العربي
راجع مقالة د. نقولا زيادة
ص ٥٣

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

القسّام في تاريخ فلسطين

أول ثورة مسلّحة جابهت القوّات البريطانيّة

د. بيان نويهض الحوت

- حين أعلنت ثورة القسام عن نفسها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥، وذلك عبر المجابهة المسلحة بينها وبين القوات البريطانية في احراش يعبد، كانت المجموعة القسامية تلك هي المجموعة العربية المجاهدة الأولى التي تتحدى الرصاص البريطاني بالرصاص العربي، أي انه حتى ثورة القسام لم تكن المجابهة المسلحة مع القوات المنتدبة واردة في القاموس السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية، بل على العكس من ذلك، كانت القيادة السياسية الفلسطينية لا تزال تؤمن بمنهج الحوار السياسي مع الانتداب البريطاني على أمل الوصول إلى أمانيها القومية أو بعضها على الأقل.

القيمة السياسية الرئيسية لثورة القسام اذن هي في كونها قد اختطت نهجاً سياسياً جديداً قائماً على اعتبار السلطة الانتدابية سلطة محتلة وعدوة، لا سلطة حليفة من الممكن التفاهم معها. والوسيلة الوحيدة للتخلص منها هي الثورة المسلحة التي تأكل الأخضر واليابس. وتتلخص المبادئ القسامية في الشعار الذي انضوى تحته القساميون: «هذا جهاد، نصر أو استشهاد».

الوضع السياسي العام

■ عندما دخل الجيش البريطاني مدينة القدس (١٩١٧/١٢/٩) دخل بصفته جيشاً حليفاً للعرب، ولم يكن عرب فلسطين آنذاك يعلمون شيئاً عن ان حلفاءهم هؤلاء قد تخلوا عن كل عهودهم للقضية العربية وللشريف حسين بتوقيعهم سراً على اتفاقية سايكس-بيكو، وكذلك بمنحهم سراً وعد بلفور.

وبمرور السنوات الأولى من الحكم العسكري فالانتداب البريطاني، وبانتهاء الدولة العربية في دمشق وهي لم تتجاوز بعد عامها الاول كي يحل الانتداب الفرنسي مكانها وتنفذ خريطة سايكس بيكو، أدرك العرب في المنطقة كلها (سوريا-لبنان-العراق-الاردن وفلسطين) ماهية المؤامرة البريطانية-الفرنسية ضدهم. وبالنسبة الى فلسطين بالذات كانت المؤامرة مزدوجة، فهي بريطانية وصهيونية في آن واحد. وهكذا اضحى اهل فلسطين إزاء اخطار انتداب بريطاني قائم وشبح احتلال صهيوني قادم.

وفي صك الانتداب وكذلك في الدستور برز

- دكتورة بيان نويهض الحوت: استاذة في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية. مارست الصحافة في «دار الصياد» وصحف ومجلات أخرى. حازت على دكتوراه دولة من الجامعة اللبنانية على رسالتها: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨).

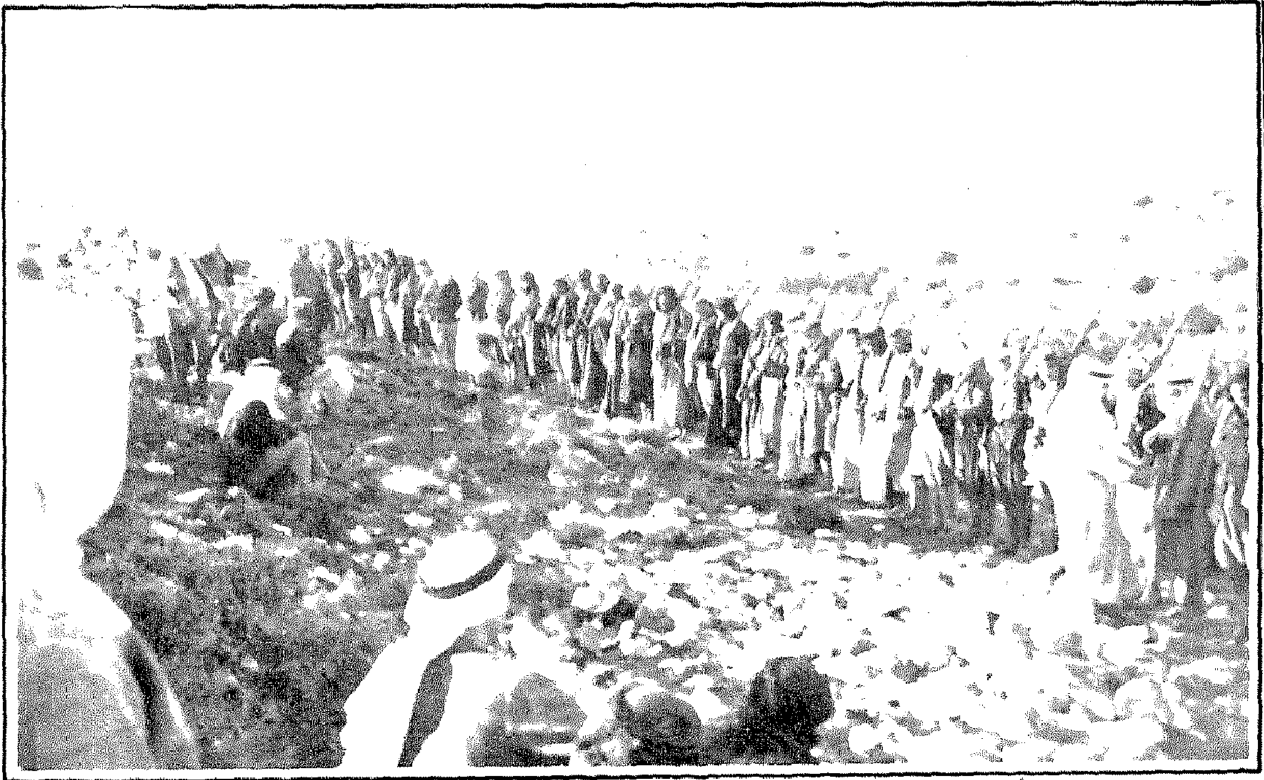
وعد بلفور، والمندوبون الساميون أعلنوا مرات ومرات انهم جاءوا لترسيخ وعد بلفور. وكان الموقف الرسمي والمعلن للحكومة البريطانية ان اي تفاهم مع العرب، لا يتم ولن يتم الا من خلال وعد بلفور.

ان الترجمة السياسية الواقعية لهذا الموقف هو حرمان العرب من انشاء مؤسسات دستورية كمجلس تمثيلي او حكم وطني، مع الرفض المتواصل لجميع المذكرات السياسية التي طالب بها العرب في وقف الهجرة وبيع الأراضي.

اول فريق سياسي أدرك ضرورة المجابهة مع السلطة الانتدابية كان حزب الاستقلال العربي الذي تأسس ١٩٣٢، وقد كان من ابرز اهدافه نشر التوعية بين الجماهير بتوجيه العداء ضد الانكليز باعتبارهم أساس الداء. ومن خلال العديد من المهرجانات والاجتماعات السياسية العامة التي دعا اليها الحزب في مختلف المدن الفلسطينية وعبر المذكرات السياسية التي كان فيها يخاطب الجماهير تمكن من ترسيخ فكرة العداء ضد الانتداب. ويعتبر الاستقلاليون ان ثورة القسام قد وصلت ذروتها في الجو الوطني المشحون الذي كانوا قد هيأوا له بالتوعية السياسية العامة.

اذن، فالدعوة الفكرية ضد الانكليز لحزب الاستقلال، والقرار بحتمية الكفاح المسلح ضدهم للشيخ عز الدين القسام وعصبته، لماذا كان موقف القيادة السياسية من هذا كله؟

منذ بداية عهد الانتداب وحتى استشهاد القسام كانت الحركة الوطنية قد عاشت مرحلة القيادة السياسية الاولى فقط، وهي القيادة التي تمثلت في اللجان الوطنية المتعاقبة من ١٩٢٠ الى ١٩٣٤، وقد ترأس هذه اللجان كلها الشيخ موسى كاظم الحسيني، وهو شيخ وقور معتدل السياسة ومحترم لدى جميع الفئات السياسية. ان اقصى ما وصلت اليه اللجنة التنفيذية الاخيرة من اعلان سخطها على السياسة البريطانية كان دعوتها الى التظاهر ضد تلك السياسة (١٩٣٣)، وكان الرد البريطاني عنيفاً بالتعرض الى تظاهرتي القدس ويافا بالعنف وباعتقال عدد كبير من قادة التظاهرتين، وهذا ما دعا اللجنة التنفيذية الى العودة عن سياسة التظاهر الى اعتدالها السابق. وبسبب المرض والشيخوخة اعتكف موسى كاظم الحسيني في منزله، ولما توفي في العام التالي (١٩٣٤)، انحلت اللجنة التنفيذية تدريجياً، ولم ينتخب من بعده اي رئيس جديد.



– القائد القسامي ابو ابراهيم الكبير وبعض المجاهدين

وفي مرحلة السنوات ما بين ١٩٣٤ و١٩٣٦، تولى مهمة القيادة بحكم الامر الواقع الائتلاف الحزبي، وقد استمر هذا الوضع حتى قيام الاضراب الشهير وانبثاق اللجنة العربية العليا.

توقع الكثيرون من الحاج امين الحسيني ان يترأس الحركة الوطنية علناً بعد وفاة الشيخ موسى كاظم، الا انه لم يفعل، وتحليل ذلك يعود الى ان الحاج امين مفتي القدس كان يشغل منصب رئاسة المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى منذ سنة ١٩٢٢، وهو منصب ديني رسمي آثر الاكتفاء به مع ممارسته للزعامة السياسية الفعلية في اثناء رئاسة موسى كاظم للجان التنفيذية وبعدها. وهذا بالاضافة الى ان الحاج امين لم يكن مؤمناً حتى تلك المرحلة بامكان المجابهة المسلحة ضد الانكليز في ثورة شاملة، وهو عندما تزعم الثورة بصفته رئيساً للجنة العربية العليا (١٩٣٦/٤/٢٥)، فعل ذلك بناء على الحاح القيادات الحزبية وتعطش الجماهير قائدة الاضراب الحقيقية الى قيادة رسمية عليا لها. وقد دفع المفتي فيما بعد ثمناً لهذه القيادة العلنية، وهو قرار السلطة بحل القيادة السياسية وعزله عن رئاسة المجلس الاسلامي.

يتضح من هذا العرض الموجز للوضع السياسي القائم حين الاعلان عن ثورة القسام (١٩٣٥/١١/٢٠) ان البلاد كانت خالية من قيادة سياسية عليا موحدة، وخالية ايضاً من أي تنظيم مدرب ومسلح ومستعد للجهاد، ما خلا التنظيم القسامي.

عصبة القسام السرية

ولد عزالدين القسام في سوريا سنة ١٨٧١،

ودرس في الازهر الشريف وكان من تلاميذ الشيخ محمد عبده. لما عاد الى بلده عمل مدرساً في جامع السلطان ابراهيم، ولما قامت الثورة ضد الفرنسيين سنة ١٩٢٠، شارك القسام مع المجاهد الشيخ صالح العلي في ثورة العلويين. حاولت السلطة العسكرية الفرنسية شراءه بتوليته على القضاء، ولكنه رفض ذلك وكان جزاؤه الحكم عليه بالاعدام من قبل الديوان العرفي.

وصل القسّام الى مدينة حيفا في ١٩٢٢/٢/٥، ووصل معه من رفاق الجهاد الشيخ محمد الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد. عمل في حيفا واعظا دينيا ومرشدا ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين فيها، واشتهر في حيفا وما حولها من منطقة الشمال بصفته إماماً وخطيباً بارعاً، الا أن اسمه لم يشتهر في فلسطين كلها إلا غداة استشهاده، فقد أصبح إسم القسام ما بين ليلة وضحاها رمزاً للجهاد.

إن تاريخ تأسيس عصبة القسام السرية بالتحديد لم يعرف بعد، ولكن من المعروف انه منذ قدومه الى حيفا ابتدأ يعمل في الاعداد النفسي للثورة، وقد تعاون معه في هذه المرحلة عدد من المؤمنين بالعروبة والجهاد، ومنهم الشيخ كامل القصاب من سوريا وهاني أبو مصلح من لبنان.

اتضح فيما بعد ان القسام قد اتبع السرية المطلقة ستاراً لكل اعماله وتحركاته مستفيداً من الوعظ والتدريس في اكتشاف العناصر الصالحة من تلاميذه، وكان معظم هؤلاء من فلاحي القرى وعمال حيفا، فكان يجذبهم تحت لواء التعاليم الدينية العامة ومنها الدعوة الى الجهاد.

الجديد في القاعدة القسامية ان القسام لم يعرف عنه اهتمامه فقط بالصالحين او الطيبين من الطبقة الكادحة، بل تجاوز هؤلاء الى المنحرفين منها. كان يؤمن ان جرأة المنحرف او السارق او القاتل من الممكن ان تتحول الى شجاعة والى ثورة حقيقية في نفسه اذا آمن بالله ايماناً صحيحاً وآمن بالجهاد في سبيل الله. فمن عناصره البارزة حسين الباير الذي اعترف في شهادة رسمية بأن مهنته السابقة كانت السرقة. ومن الذين أصبح يعتمد عليهم من أبناء الطبقة الكادحة ابو درة بائع الكاز على الطنبر، والغلاييني الذي كان عمله لحم التنك والحديد. وهو الذي اصبحت مهمته النضالية بحكم مهنته صنع القنابل البدائية.

اعتقد القسام بأنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا عن طريق الجهاد الاسلامي. وقد وضع وفقا لمبادئه الدينية والقومية الأسس العامة لثورة مسلحة وشاملة ضد السلطة الانتدابية. كان لا يقبل في صفوفه الا من كان مستعداً لأن يموت في سبيل بلاده، بالاضافة الى شرطين اساسيين. اولهما ان يقتني العضو سلاحه على حسابه. وثانيهما ان يتبرع بشيء من ماله قدر المستطاع.

السؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه: لماذا اعلن القسام عن ثورته او حركته السرية وهي لم تكن قد

تخطت مرحلة الاعداد بعد؟ لقد وصف البعض قراره هذا بأنه قرار خاطىء سابق لأوانه، وقال آخرون بأنه قرار انتحاري لا ثوري. وقد اجابني عن هذا السؤال واحد من رفاقه المؤمنين البسطاء هو حسن شبلاق حين قال ببساطة: «خاف ان يعتقل فخرج الى الجبل». ويلتقي هذا الجواب مع رأي مجاهد قسامي آخر هو ابراهيم الشيخ خليل، فقد كتب يقول:

«... في عام ١٩٣٥ رأى القائد بأن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من إخوانه ويفسد جميع مخططات الثورة قبل ان تظهر للمواطنين. وكان رأيه الخروج الى الجبال والطواف بالقرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة...» (شؤون فلسطينية، ١٩٧٢/٣/٧، ص: ٢٦٧)

عمليات القساميين

القيادة العليا في العصبة لم تكن للقسام وحده، بل كانت قيادة جماعية تتألف من اثني عشر عضواً، ويشار اليهم باسم اعضاء الجمعية. وكان هؤلاء يتخذون جميع القرارات العليا بما فيها اغتيال الجواسيس والخونة، الا ان هذه القرارات الاخيرة كان لا بد لها من ان ترفع الى عالم ديني كي تصدر عنه، وذلك لأسباب دينية.

في بداية تكوينها تألفت خلايا الجهاد على نمط حلقات الأرقم ابن ابي الارقم، أي من خمسة اشخاص على الاكثر من بينهم نقيب مسؤول عن القيادة والتوجيه. وقد وصلت العصبة السرية الى خمس وحدات منظمة مختلفة المهمات.

الوحدة الأولى لشراء السلاح، والثانية للتدريب العسكري، والثالثة للاستخبارات ومراقبة خطط الانكليز واليهود السرية، والرابعة للدعوة المستمرة الى الجهاد الديني، والخامسة للاتصالات السياسية.

ولم تكن عملية المجابهة المسلحة في يعبد العملية الفعلية الاولى للقساميين، فهي الخامسة عدداً، إذ سبقتها أربع عمليات سرية أقضت مضاجع الانكليز والصهاينة. والأولى من هذه العمليات هي الشهيرة بعملية «نحلال» في مرج ابن عامر، فقد القى القساميون قنبلة في ليلة (١٩٣٢/١٢/٢٢) على منزل



- المجاهد القسامي أبو خالد

يوسف يعقوبي، فأصيب صاحب المنزل وابنه داود بجراح أدت الى وفاتها فيما بعد. وقد ثار اليهود لهذه الحادثة وحولوا جنازة اليعقوبي الى تظاهرة سياسية قادها الدكتور آرلوزوروف رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، وأعلنت الحكومة عن مبلغ خمسمائة جنيه مكافأة لمن يرشد الى مقترفي جريمة «نحلال»، ولكن عبثا.

وبعد ان قام القساميون بثلاث عمليات اخرى مماثلة ازدادت شكوك السلطة بالقسام ورفاقه، فقرر القسام في خريف ١٩٣٥ الاعتصام بالجبال والاعلان عن ثورته. وقد رافقه عشرة من رفاقه المجاهدين.

البوليس كان قد أعد عدة هائلة لمجابهة ذلك النفر من المؤمنين المسلحين. فقد أحاط منذ الفجر بأحراش يعبد (قضاء جنين). ووضعت القيادة البوليس العربي في الخطوط الأمامية الثلاثة قبل البوليس الانكليزي. وبينما الفريقان يتأهبان صاح أحد أفراد البوليس العربي طالباً الاستسلام فرد عليه القسام صائحاً: «اننا لن نستسلم. ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن».

كانت المعركة قصيرة. إذ دامت ساعتين فقط. استعمل خلالها الانكليز الطائرات لاكتشاف

موقع الثوار. وكان الرصاص يصم الآذان بلا انقطاع. وحين انتهائها أسفرت المعركة عن استشهاد القسام وثلاثة من المجاهدين. كما ألقى البوليس القبض على أربعة منهم. وروت جريدة الجامعة الاسلامية ان الشهيد القسام قد وجد بعد المعركة مجندلا بملابسه الدينية ومعه مصحف شريف وأربعة عشر جنيهاً ومسدس كبير.

القساميون في الثورة الكبرى

لم تنته ثورة القسام بل ابتدات باستشهاده، فقد استمر رفاقه من بعده يعملون. وقد قاموا بعمليات عديدة لم يعرف عنها في حينها أنها من عملياتهم بسبب السرية، إلا أنهم فيما بعد اعترفوا بها او اعترف بها التاريخ.

أهم حدث في البلاد بعد استشهاد القسام كان الاضراب الكبير الذي انفجر شعبياً وعفوياً في ١٩٣٦/٤/٢٠، والذي انبثقت معه اللجنة القومية في نابلس داعية سائر المدن والقرى الى تأليف لجان مماثلة، وقد لبت الهيئات الشعبية والمواطنون النداء الصادر عن نابلس فتألفت اللجان في أكثر من عشرين مدينة وقرية، وانساقت الزعامات السياسية والاحزاب كذلك الى الاضراب الطويل كما انساقت الجماهير، والسؤال الآن، ما هي حقيقة دور القساميين في احداث اضراب الاشهر الستة، وما رافقها من ثورة عارمة.

سبق الاضراب الطويل مسلسل دموي سريع ابتدأ ليلة الخامس عشر من نيسان (ابريل) فقد هاجم ثلاثة من العرب قافلة يهودية من السيارات على الطريق العام في قضاء نابلس، وأدى هذا الهجوم الى مقتل يهوديين وإصابة ثالث. وقد عرف فيما بعد ان المهاجمين الثلاثة كانوا من القساميين وبقيادة الشيخ فرحان السعدي. واستنتاجاً من طبيعة الاحداث الجارية آنذاك وهي تتلخص في موافقة زعماء الاحزاب السياسية على مبدأ التفاوض من جديد مع الحكومة البريطانية، واختلافهم فيما بينهم على عضوية الوفد المفاوض والذاهب الى لندن، نعتقد ان اقدام الشيخ فرحان السعدي على الاصطدام مع اليهود كان هدفه تحدي أسلوب التفاوض السياسي مع السلطة المستعمرة الحاكمة.

نجح القساميون في ذلك، اذ ادى انتقام اليهود في اليوم التالي من تلك الحادثة الى اصطدامات أدت بدورها الى لجوء المندوب السامي الى تطبيق قانون الطوارئ وفرض نظام منع التجول على مدينتي يافا وتل ابيب منذ مساء ١٩ نيسان (ابريل). وصحت يافا صباح اليوم التالي على إضراب شامل وعلى اشتباكات مسلحة، وقد تحول هذا الاضراب المحلي الى إضراب عام ومفتوح في فلسطين كلها طوال ستة اشهر، وذلك اثر نداءات ثلاثة صدرت عن نابلس ويافا والقدس تدعو الشعب الى المشاركة. وكانت النتيجة بالنسبة الى المفاوضات المتوقعة ان اعلن زعماء الاحزاب قرارهم بتأجيل سفر الوفد الى لندن.

ومرت فترة من الركود الظاهر بعد انتهاء الأضراب زارت في خلالها اللجنة الملكية فلسطين ثم اصدرت تقريرها في (١٩٣٧/٧/٧)، وهو التقرير الشهير الذي احتوى على مشروع التقسيم كفكرة، وكاطار عام دليلاً على امكان تنفيذه عملياً في المستقبل. وقد هب العرب يعترضون على التقسيم في تصريحاتهم ومؤتمراتهم.

وانفجر الوضع العام من جديد، وذلك في (١٩٣٧/٩/٢٦) عندما اقدم «مجهولون» على قتل اندروز حاكم الجليل ومرافقه في مدينة الناصرة. وكان هذا الحدث كافياً لشن حملة من الارهاب ما رأت البلاد مثلها من قبل. لقد اعلنت الحكومة حل اللجنة العربية العليا واللجان القومية. كما اعلنت حلها للمجلس الشرعي الاسلامي الأعلى وعزل المفتي من رئاسته للمجلس، وذلك بعد أربعة ايام من مقتل اندروز.

وفي اليوم نفسه (١٩٣٧/٩/٣٠) اصدرت الحكومة أوامرها باعتقال اعضاء اللجنة العربية العليا، كما شرعت في اعتقال العشرات من المواطنين. ولكنها لم تتمكن من اعتقال المفتي بسبب وجوده في بيته ضمن أسوار الحرم الشريف. فشددت الحراسة حول الحرم. الا انه قد تمكن بعد ذلك من الافلات والتسلل سراً الى لبنان (١٩٣٧/١٠/١٣). ومن هناك عاد من جديد الى قيادة الثورة من الخارج.

من البديهي ان تبحث الحكومة ليل نهار عن قاتلي اندروز، هؤلاء «المجهولين». وقد وجهت كل شكوكها نحو القساميين. والسبب ان اندروز حاكم الجليل كان بدوره اكثر من تعقب خطاهم في الشمال



– فريق من المجاهدين بشباب الميدان

بحكم منصبه، وقد حققت الحكومة مناها عندما تمكنت من القاء القبض على خليفة القسام الشيخ فرحان السعدي مع ثلاثة من رفاقه.

وحين القاء القبض عليه، كانت الحكومة تعلم ما لهذا الشيخ الوقور من ماض نضالي، فالسعدي قد ألف في ثورة ١٩٢٩ عصبة من المجاهدين في قضاء جنين. وقد قبضت عليه السلطة في تلك السنة وألقت به في سجن عكا ثم سجن نور شمس ثلاثة اعوام. ولما خرج من السجن انتقل الى حيفا حيث اتصل بالقسام وانضم الى عصبته، ثم أصبح الرأس الاول في العصبة بعد استشهاد القسام.

كان هذا كله مدعاة الى السرعة الفائقة في محاكمة الشيخ فرحان السعدي محاكمة صورية في ثلاث ساعات. لا أكثر. وجهت اليه في خلالها تهمة قتل اندروز. ثم صدر عليه الحكم بالأعدام. ونفذ الحكم فعلاً بهذا الشيخ الصائم في شهر رمضان المبارك. وذلك في (١٩٣٧/١١/٢٢).

وقد أدى إعدام السعدي الى بعث الحماسة الجماهيرية الثورية من جديد. ومن الغريب أن تشتهر حادثة إعدام السعدي. ذلك الشيخ المجاهد المسن. الى حد طغى على دوره الكبير كمحرك وباعث من بواعث الثورة، ومن الذين يشيرون الى دوره الكبير رفيقه القسامي صبحي ياسين، فقد لقبه «بالمجاهد الصادق» وقال بأنه «خليفة الشهيد القسام وأول من اطلق رصاصة في سنة ١٩٣٦».

وكان دور القساميين وسواهم من الثوار كبيراً في بداية المرحلة الثانية من الثورة، فقد أخذوا يعملون في المنطقة الشمالية وجبل الخليل بمجموعات متعددة، وذلك حتى تمكنت القيادة السياسية العليا من استرداد نشاطها في الخارج من جديد. ففي تلك الأثناء كان رئيس اللجنة العربية العليا (المنحلة نظريا) قد وصل سراً الى لبنان وأعاد تنظيم اللجنة بمن وجد من الاعضاء. كما أنه تمكن من إنشاء اللجنة المركزية للجهاد في دمشق كحلقة وصل بينه وبين قادة الفصائل في الداخل. والمسؤول عن هذه اللجنة المؤرخ محمد عزة دروزة يشير الى القساميين في تلك المرحلة بكثير من التقدير والاعجاب. كذلك يشير اليهم صبحي ياسين، ومن القادة القساميين في الثورة خليل العيسى (أبو ابراهيم الكبير) وتوفيق الابراهيم (أبو ابراهيم الصغير) وسليمان عبد القادر (ابو علي).

وكانت ثورة ١٩٣٧–١٩٣٩ ثورة عامة شاملة

شاركت فيها كل الفئات ، شاركت المدينة وشاركت القرية ، وكانت أكبر بكثير من ان تنسب الى رئيس فرد او زعيم فرد ، او ثائر فرد. وبالاضافة الى القساميين كان هناك عدد كبير من القادة الكبار ابرزهم القائد عبد الرحيم الحاج محمد ، وقد لقب بالقائد العام (أبو كمال) ، وهناك عارف عبد الرزاق (ابو فيصل) وحسن سلامة (ابو علي) وعبد القادر الحسيني وسواهم.

وفي الحرب المأساة ١٩٤٧ ، شارك القساميون كأفراد وجماعات ، الا أن دورهم لم يكن مميزاً في القيادات العسكرية المحلية لأن القيادة العسكرية توزعتها عملياً مجموعتان: جيش الانقاذ بقيادة القائد فوزي القاوقجي ، وقوات الجهاد المقدس بقيادة القائد عبد القادر الحسيني. وبمعنى آخر ما عادت القيادة عبارة عن مجموعة من قادة المناطق والفصائل كما كانت في الثورة الكبرى ، الا ان بطولات القساميين في الحرب الأخير ما قبل النكبة تثبت صدق ما يقوله القساميون من أن تنظيمهم استمر تنظيماً سرياً وعاملاً حتى ١٩٤٨.

أضواء على ثورة القسام

الثورة هي الهدف

القسام ما كان محبا للزعامة او الرئاسة ، وما كان متهافتاً على شهرة او مجد ، كان ثائراً حقيقياً ، وسيرة حياته تشهد بذلك.

آمن القسام بالثورة ، آمن بالجهاد المسلح وسيلة وحيدة ممكنة للنصر ، وآمن بالسرية المطلقة سراً للنجاح ، فهو حتى تنظيمه لم يطلق عليه إسماً محدداً إمعاناً في السرية ، واما الأسماء المتعددة من «القساميين» «وعصبة القسام» «وجماعة القسام» ، فكلها اسماء انتشرت واطلقت بعد استشهاد القسام.

وما كان رفاق القسام بأقل منه حرصاً على انتشار الثورة ، وقد عرفنا دور الشيخ فرحان السعدي في بداية الأضراب ، ومن ثم في انطلاقة الثورة من جديد ، فالقساميون اذن ما سقطت من يدهم الشعلة ، لقد عملوا باستمرار وتواصل عنصراً رئيسياً من عناصر الثورة.

والذين يعرفون القسام يشهدون بأن هذا الرجل ما كان من همومه ابداً ان تنسب اليه ثورة ، أو الثورة. كان من همومه -ان لم يكن همه الأوحد- أن تنتشر الثورة.

وحدة النضال العربي

ان انبعاث ثورة القسام السوري أصلاً على أرض فلسطين يضيء صفحة خالدة من صفحات وحدة النضال العربي ضد الاستعمار. ودليلاً على هذه الوحدة ، وفي المأتم الضخم الذي شيع فيه القسام وصحبه في مدينة حيفا ، أقدم صديقه رشيد الحاج ابراهيم على لف النعوش الثلاثة بالأعلام العربية رمزاً للهدف الكبير وراء استشهادهم ، فكان العلم العراقي للشهيد القسام ، والعلم السعودي للشهيد سعيد عطية أحمد المصري ، والعلم اليماني للشهيد يوسف عبد الله الزيباوي.

ابتعاد القسّام عن الحزبيات المحلية.

اعتقد القسام بأن الاحزاب السياسية عبث ما لم تقم على الايمان الصحيح ، وهو لم ينضم يوماً الى حزب ما ، وهذا مع ضرورة الاشارة الى ان صداقته الوطيدة مع رشيد الحاج ابراهيم أحد مؤسسي حزب الاستقلال ورجاله الكبار ، جعلت بعض المؤرخين ينسبونه خطأً الى حزب الاستقلال.

وفي الوقت نفسه ، وبالتأكيد ، لم ينتسب القسام يوما الى الحزب العربي الفلسطيني ، وهو حزب الحركة الوطنية المؤيد لسياسة المفتي. والغريب فعلاً ان يدّعي أميل الغوري ، وهو أحد أعضاء الحزب العربي ان القسام كان من اعضاء الحزب العربي بقوله حول استشهاد القسام : «ودعا الحزب العربي الفلسطيني (وكان القسام من اعضائه وأحد ممثلي منطقة حيفا في لجنته التنفيذية) دعا الشعب الى الاضراب العام واعلان الحداد على الشهيد» (فلسطين عبر ستين عاماً ، ج : ٢ ، ص : ٣٨).

لو ذكر ادعاء انتساب القسام الى الحزب العربي ، وادعاء دعوة الحزب الى اضراب عام اثر إستشهاده في مصدر آخر سوى مصدر الغوري ، لكان الرد بالتفصيل وبالأدلة وبالبراهين ضرورة ، وأما بسبب صدور هذه الأقوال عن إميل الغوري بالذات وهو الذي ينضح كتابه بالمغالطات والاخطاء. فنحن سوف نكتفي بالرد على ذلك بما قاله جمال الحسيني



— الشيخ الشهيد عز الدين القسام

نفسه رئيس الحزب العربي.

جمال الحسيني ما ادعى يوماً من الأيام بأن القسام كان من اعضاء حزبه، وقد سألته حول ذلك في إحدى المقابلات فنفى نفياً قاطعاً، وأبدى عجبه من السؤال. ونفى ذلك ايضاً كامل الدجاني أحد اركان الحزب العربي.

ونقتطف هنا فقرة من خطاب رئيس الحزب العربي إثر استشهاد القسام، وفيها ينتقد جمال الحسيني موقف السياسيين من أمثاله نقداً ذاتياً :

«ثورة القسام كانت ثورة علينا جميعاً، شباناً وشيوخاً وكهولاً، اذ يقول كل واحد منا في قلبي إيمان وفي نفسي اخلاص وعزيمة ولكني مثقل وورائي عائلة كبيرة أخاف ان خرجت ان يتخطفهم الذل والعار والموت وليس لدي ما يدفع عنهم عوادي الزمن.... يسمع القسام وصحبه هذا فيثورون عليه ويخرجون... يخرجون عمن؟ يخرجون عن أعشاش فيها قطع من اللحم كأفراخ العصافير ينتظر كل منها معيله ليسقط في منقاره ما يسد به جوعه ويروي عطشه.... فيندفع القسام وصحبه من تلك الأعشاش لتثبيت المبدأ وإحقاق الحق واعلاء شأن الايمان، ونحن إذ نرى منهم ذلك لا يسعنا إلا ان نشعر بتبكيت الضمير واحمرار الوجوه فندعو الله أن ينير قلوبنا بهذا الايمان»(جريدة الجامعة العربية العدد ١٧٢٥، ١٩٣٦/١/٧).

علاقة القسّام بالمفتي .

كان القسام واعظاً دينياً في حيفا، وهذه المهمة هي في أساسها مرتبطة بالمجلس الشرعي الأسلامي الأعلى، وبتعيين من مجلس الحاج امين الحسيني. ويتضح من هذا، العلاقة الدينية والعملية بين الرجلين. وأما عن علاقة العمل السري أو علاقة الجهاد فعلى الرغم من محاولات البعض اثبات علاقة ما من هذا النوع، الا أنه لا يوجد أية حقائق ثابتة حول ذلك. وهذا في الوقت الذي ينفي فيه المنطق العام وجود أية علاقة بينهما بشأن التنظيم السري أو بشأن عزم القسام على إعلان الجهاد. اذ أخفى القسام هذا الخبر حتى عن أقرب الأصدقاء اليه، فلماذا يخبر المفتي إذن أو حتى يستشيره، والمفتي كان واضحاً جداً في سياسته العامة في تلك المرحلة، وهي سياسة «اللاتوريط» التي أعلن عنها في مؤتمر يافا الشهير (١٩٣٣/٣/٢٦)، وهي السياسة نفسها التي كان مستمراً عليها، وما تحول عنها تحول الزعيم السياسي القدير إلا بعد الاضراب الكبير.

وأما عن علاقة المفتي بالقساميين، فالواضح والأكيد أن العلاقة بين الفريقين في أحداث الثورة وما تلاها كانت متينة وصلبة وقائمة على الثقة المتبادلة لقد استوعب المفتي جميع القساميين في صفوف الجهاد والثورة محترماً تنظيمهم الخاص السري، وهم بدورهم تعاونوا معه ومع اللجنة المركزية للجهاد تعاونا صادقاً شعاره الجهاد في سبيل الله. ■

المراجع

(أ) الوثائق :

- زعيتر، أكرم. أوراق اكرم زعيتر، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(ب) المقابلات :

- الحسيني، جمال. البرزة : ١٩٧٣.
- الدجاني ، كامل. بيروت : ١٩٧٣.
- دروزة ، محمد عزة. دمشق : ١٩٧٤.
- زعيتر، أكرم. بيروت : ١٩٧٤.
- شبلاق ، حسن. بيروت : ١٩٧٣.

(جـ) الكتب والمقالات :

- الحوت ، بيان نويهض. القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨. يصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٩.
- دروزة ، محمد عزة. حول الحركة العربية الحديثة. ج : ٣. صيدا : المكتبة العصرية ، ١٩٥٠.
- الزركلي ، خير الدين. الاعلام. الطبعة الثالثة. ج : ٧. بيروت : لا. ن. ، ١٩٦٩.
- الشيخ خليل ، ابراهيم. «رسالة من مجاهد قديم : ذكريات عن القسام» ، مجلة شؤون فلسطينية ، ١٩٧٢/٣/٧.
- غنيم ، عادل حسن. «ثورة الشيخ عز الدين القسام» مجلة شؤون فلسطينية ، ١٩٦١/٨/١٦.
- نويهض ، عجاج. «الشيخ عز الدين القسام» ، جريدة الأنوار ، العدد ٦٠٩ ، ١٩٦١/٨/١٦.
- ياسين ، صبحي. الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩. لا. ب. ، دار الهنا للطباعة ، ١٩٥٩.

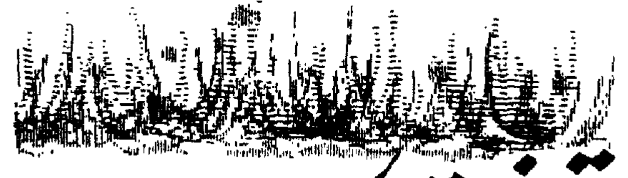
(د) الدوريات :

- جريدة الجامعة الاسلامية. يافا ، ١٩٣٥.
- جريدة الجامعة العربية. القدس ، ١٩٣٥.
- جريدة فلسطين. يافا ، ١٩٣٥.

(هـ) الصور :

- المكتبة العامة في مركز الابحاث : منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت.





قضية الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠ - ١٩١٧

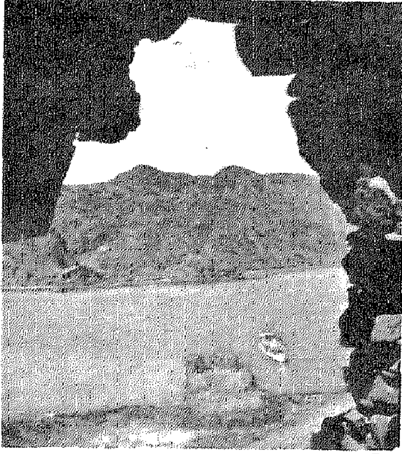
الجزء الثاني

د. خيرية قاسمية

اهتمام بريطانيا العملي بالحدود

■ فشلت مفاوضات العريش في تقديم نتائج محسوسة ولكن الحكومة البريطانية - ظلت تنظر الى الحركة الصهيونية كعامل هام في سياستها في الشرق الأدنى يمكن أن يحسب حسابها، واتخذ كرومر خطوات معينة لتقوية مركز بريطانيا هناك فعيّن الكولونيل براملي مفتشاً لسيناء عام ١٩٠٥.

فشرع هذا في اجراء اصلاح اداري هناك وارسل بعد ذلك قوات مصرية لاحتلال مراكز معينة داخل سيناء بما فيها طابه على الشاطئ الغربي لخليج العقبة ولكن وجدت قوات تركية قد احتلتها مسبقاً في ١٧ شباط/فبراير ١٩٠٦ وجرت مفاوضات بين الحكومة المصرية والاستانة وتمسكت الحكومة العثمانية . الى ان حدود سيناء يجب ان تمتد من رفح الى السويس ومن السويس الى العقبة واصرت الحكومة المصرية على ان تكون



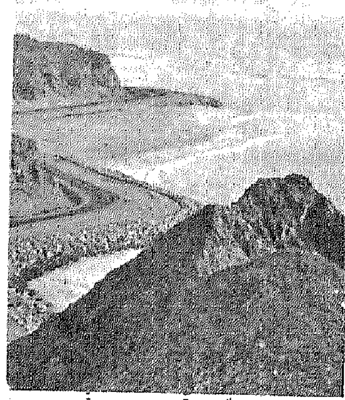
خليج العقبة من قلعة جزيرة المرجان

برقية ٨نيسان/ابريل ١٨٩٢ اساساً لاي تسوية. بينما اصرت الاستانة على ان تفسير البرقية هو مسألة تهم فقط الحكومة العثمانية.

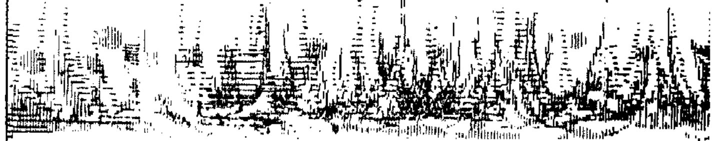
ولجأت السلطات في مصر الى القيام باستعدادات وتحركات عسكرية في منطقة الحدود وعلى السواحل، قابلتها الحكومة العثمانية بامداد النقط الحربية على الحدود بقوات جديدة. واخترقت قوة عسكرية منطقة رفح وازالت عمودي الحدود من مكانهما.

وبلغت قضية الخلاف مرحلة خطرة فاوعزت الحكومة البريطانية الى سفيرها في الاستانة رفع انذار الى الباب العالي في ايار/مايو ١٩٠٦ باجابة مطالب حكومته خلال عشرة ايام وتتلخص باحتلال طابه وعودة الجنود العثمانيين من رفح إلى حدودهم واعادة عمودي الحدود الى مكانهما، ودل الانذار ان بريطانية مصممة على استخدام القوة اذا لم تجب الى مطالبها، وايد سفير فرنسا وروسيا في الاستانة السفير البريطاني كما اعلنت المانيا عدم تعضيدها للدولة العثمانية في هذه المشكلة.

وعرضت القضية برمتها على لجنة الدفاع عن الامبراطورية وهي جهاز استشاري بريطاني. ولم تكن المشكلة امتلاك طابه بالذات كما دلت



الطريق من شرم الشيخ الى ايلة



مناقشات لجنة الدفاع في الامبراطورية ، بل ان يصبح خليج العقبة «بحرة مغلقة» يتحكّم بها الاتراك ويزيد احتمالات هجوم تركي على الحدود ، بحثت اللجنة في أساليب الضغط العسكري أو البحري الذي يمكن ان يطبق على الدولة العثمانية في حالة رفض الجلاء عن المنطقة المصرية ، وكان من بينها قطع طريق الامدادات التركية عن اليمن الذي قد يؤدي الى نشوب ثورة في الحجاز أو سورية .

وقبل ان ينقضي اجل البلاغ ببضع ساعات اصدرت الدولة العثمانية اوامرها برجوع جنودها عن طابه وعن كل النقط المحدودة من الاملاك المصرية . واتفق الباب العالي وبريطانية على تحديد التخوم الفاصلة بين سيناء والولايات العثمانية بواسطة لجنة مشتركة من الطرفين ووقعت إتفاقية حدود سيناء في أول تشرين أول ١٩٠٦ ، وتبدأ من رفح على ساحل المتوسط وتمتد جنوبياً بشرق الى نقطة تبعد ثلاثة أميال عن قلعة العقبة غرباً على محاذاة ساحل خليج العقبة .

* * *

تكتيك شراء الأراضي العربية

وعاد التفكير ثانية بإحياء المشروع الذي عرض على هرتزل لإنشاء مستوطنة يهودية في الجزء الشمالي من جزيرة سيناء قرب الحدود التركية . في المنطقة التي كانت مثار نزاع متواصل بين السلطات العثمانية والحكومة المصرية . وفي حين كان مشروع هرتزل قد تم الأعداد له والإشراف عليه عن طريق وزارة الخارجية البريطانية والسلطات البريطانية في مصر يبدو أن المحاولات المتأخرة التي تولتها شركات استيطان يهودية لم يؤخذ بها رأي وزارة الخارجية قبل الشروع بها . وإن كان نائب القنصل البريطاني في غزة كنزفيتش A. Knesevich قد عمل وكيلاً لعمليات الشراء باسم شركات الإستيطان اليهودية وكانت السلطات البريطانية في مصر–كذلك الهيئات القنصلية في القدس– على علم بهذه التحركات منذ أن بدأ التفكير فيها ١٩٠٨ وأصبحت موضوع مراسلات عديدة ومعقدة بين القدس والآستانة والقاهرة ولندن .

ويبدو أن المعتمدية البريطانيّة في القاهرة قد أبلغت كذلك السفارة البريطانية في الآستانة بالموضوع ، وطلبت إتخاذ الإجراءات لمنع نشاط كنزفيتش حتى لا يبدو أنه يتمتع بموافقة حكومة جلالته ، لذلك قام لوثر السفير البريطاني في الآستانة بإبلاغ القنصل البريطاني في القدس (ساتو Satow) في برقية في ١٦ نيسان /إبريل ١٩١١ بتفاصيل القضية التي يعتبرانها تؤثر على العلاقات مع السلطات العثمانية من جهة ومع العرب المصريين وان المشروع غير مرغوب الإستمرار فيه . ومن المحتمل أن يعطي انطباعاً كاذباً بان المشروع يتمتع بدعم حكومة جلالته .

وظلت المراسلات مستمرة منذ عام ١٩٠٨ حتى بداية ١٩١١ إلى إن تم توقيع عقد بين كنزفيتش وستة أشخاص يمثلون الشركة . وبموجبه يشتري الأول أرضاً مساحتها ٥٠٠٠٠ دونم في رفح على مسافة كيلو متر من عمود الحدود العسكري وقد تم حتى تاريخ إرسال ساتو التقرير شراء ١٠٠٠٠ دونم ولم يتم شراء أرض لمصلحة هذه



حسين بن علي

الشركة في الجانب التركي من الحدود. وقد برر كنزفيتش عمله بأنه نوع من عمل تجاري وانه لم يستخدم صفته القنصلية للتأثير على بيع الأراضي إذ أنها قد تمت في الجانب المصري حيث لا مركز رسمي له. ولكن معرفته الشخصية بالمواطنين قد أفادت مفاوضاته وباعتقاده أنه نظراً لان معظم اليهود المهتمين بإنشاء المستوطنة المقترحة كانوا من التبعية البريطانية فهو إنما يدعم المصالح البريطانية...

وقد رأت وزارة الخارجية البريطانية أن تستطلع رأي السلطات في مصر فبعثت نسخة من التقرير إلى تشيتام (وكيل المعتمد البريطاني) وفي رسالة الأخير إلى غراي في ١٧ حزيران/ يونيو ١٩١١ أوضح الموقف في مصر من عمليات الشراء مبيناً قبل كل شيْ الصفة العامة لجزيرة سيناء التي يسكنها فقط عرب رحل لا يخضعون تماماً للنظم الإدارية المصرية، بل إلى حد بعيد طبقاً للعادات القبلية ويديرها موظفون إنجليز يتبعون وزارة الحربية المصرية، وهذا الوضع يبدو مرضياً إلى حد كبير في الوقت الحاضر، إلا أن هجرة يهود روسيا أو غيرهم مهما كانت أعدادهم سيثير بلا شك مشاكل قد تكون مؤسفة جدا، وبالإضافة إلى هذه الإعتبارات هناك صعوبة حصول المستوطنين اليهود على أرض لها حقوق ملكية واضحة لأن هذه الحقوق في سيناء تعتمد على العرف ويصعب بالتالي تحديدها ومع أن الحكومة المصرية هي التي لها حق الملكية إلا أنها قد منحت السكان هناك حقوقاً عرفية للرعي والزراعة ولا ترى الحكومة المصرية أي داع لوضع حق ملكيتها موضع التنفيذ في الوضع الحاضر، أي طالما أن الأرض يشغلها عرب منحوا حق إستخدامها لعدة أجيال ولا يتبع ذلك أن تبقى الحكومة المصرية حقوقها معلقة لو جرت محاولة لإنشاء مستوطنة أجنبية، وهي ليست على استعداد في الوقت الحاضر للتخلي عن هذه الحقوق نظراً لما قد يثار من قضايا صعبة ومعقدة.

ويكشف تشيتام في رسالته أن محاولة شراء أراضي لاستيطان مهاجرين يهود في المنطقة المجاورة لرفح قد جرت قبل عام ١٩١١ ولم يبلغ عنها في حينها، وتمت الصفقات الأولى منذ النصف الأول لعام ١٩١٠، رغم تحذير السلطات المصرية للوكلاء الذين تولوا المفاوضات من الأخطار التي قد يتعرض لها موكلوهم بسبب عدم ضمان حقوق الملكية .

وقد أشار تشيتام في رسالته بأنه كانت هناك منظمة أخرى للإستيطان اليهودي باسم المنظمة العامة للإستيطان اليهودي يتولاها عدد من اليهود الألمان برئاسة الفرد نوسيج Nossig كانت تفكر في نفس المنطقة ضمن مشروع واسع يشمل الشرق كله.

ويبدو أن كنزفيتش ظل يلح على طلب إجازة تفتيشية للتوجه إلى الحدود المصرية لأمر يتعلق بعمليات شراء الأرض، وعاد مكريغور في رسالته إلى السفارة البريطانية في الآستانة ١ آب/

أغسطس ١٩١٢ يجدد الطلب مؤكداً أن كنزفيتش ما زال يعمل على شراء أرض استيطان يهودية وهو أمر يثير حيرة القنصلية في القدس بشأن الموقف الواجب إتخاذه حيال هذه الصفقات.

وأبلغت قنصلية القدس كنزفيتش بصورة شخصية أن البيع لا يزال مستمراً بطريقة سرية. وحذرته بضرورة التيقظ، وامتنعت السفارة البريطانية في الآستانة عن إعطاء الإذن لكنزفيتش بمغادرة المنطقة من أجل قضية شراء الأراضي (التي دعاها كتشنر عملية غير شرعية) ما لم تتأكد السفارة مسبقاً أن هدف كنزفيتش هو وضع حد نهائي لعملية الشراء.

وأبلغت وزارة الخارجية بالتطورات الأخيرة في ١٤ آب/ أغسطس ١٩١٢ في رسالة بعث بها مارلنغ مستفسراً عن رد القاهرة فيما يتعلق بالتعويض على كنزفيتش نظراً لحسن نيته ولذلك بعث لورد غراي وزير الخارجية في ٢٦ آب/ أغسطس ١٩١٢ إلى مصر لحث السلطات البريطانية فيها على إرسال رد على رسالته ١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩١١ ويعترض فيها على تقييم لورد كتشنر لتصرف كنزفيتش.

بريطانيا تستغل ضعف تركيا في فلسطين.

واتفقت آراء الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية مع رأي كتشنر، وتقرر ضرورة سحب ما ورد في رسالة وزير الخارجية - ١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩١١ بعدم لوم كنزفيتش والتعويض عليه لأنه فعلاً لا يستحق أي تعويض وأبلغت الأطراف المعنية بآراء وزارة الخارجية حول هذا الأمر.

لقد كانت الدوافع الرئيسية التي تكمن وراء اعتراض السلطات في مصر على حصول كنزفيتش وشركائه لأراضي من أجل أغراض الإستيطان قرب الحدود المصرية التركية، إنما خشية أن يؤثر ذلك على علاقات الحكومة البريطانية مع السلطات العثمانية من جهة ومع القوى المحلية في مصر من جهة أخرى. ولم تمنع هذه الحقائق منظمات الإستيطان اليهودية عن إتباع أساليب جديدة لإتمام عمليات الشراء.

وكان الهدف النهائي للمعاملات الجارية كما يرى مكريغور، هو نقل الأرض المذكورة إلى مؤسسة الإستيطان اليهودي المعروفة بإسم «شركة تطوير الأراضي الإنجلوفلسطينية»
Anglo-Palestine Development Company
ودخول (مس بالمير) شريكاً كان يضمن للشركة بالإضافة إلى المساعدة المالية. حماية القنصلية البريطانية في قضية نقل حقوق الملكية. وكانت النية أن تؤسس الشركة وتسجل في القاهرة. على أن يقام لها فرع في القدس تحت الحماية البريطانية. ولكن ما هو مؤكد أن فكرة إنشاء مستوطنة على الجانب المصري من الحدود قد تُخلي عنها واقتصرت محاولات الشراء على الجانب التركي من الحدود. ولم يكن الموقف البريطاني من عمليات الشراء يعني توقف الإهتمام بالمصالح البريطانية على الحدود التركية المصرية. فقد أثيرت مجدداً مسألة الدفاع عن الحدود الشرقية لمصر نتيجة لتغير الأوضاع في الدولة العثمانية بعد تراجعها كقوة عسكرية إثر الحرب الطرابلسية ١٩١١ وحروب البلقان ١٩١٢/١٩١٣. واستبعدت السلطات العسكرية في إنجلترا احتمال قيام الدولة العثمانية بعمليات هجومية ضد مصر عبر شبه جزيرة سيناء ولم يوافق كتشنر- المعتمد البريطاني في مصر- على أنقاص القوة العسكرية في مصر، إذ برأيه أن عودة القوات المنهزمة الممتلئة بالعداء المرير للأوروبيين بعد إنتهاء الحرب البلقانية سيكون مصدر قلق للسلطات في مصر.

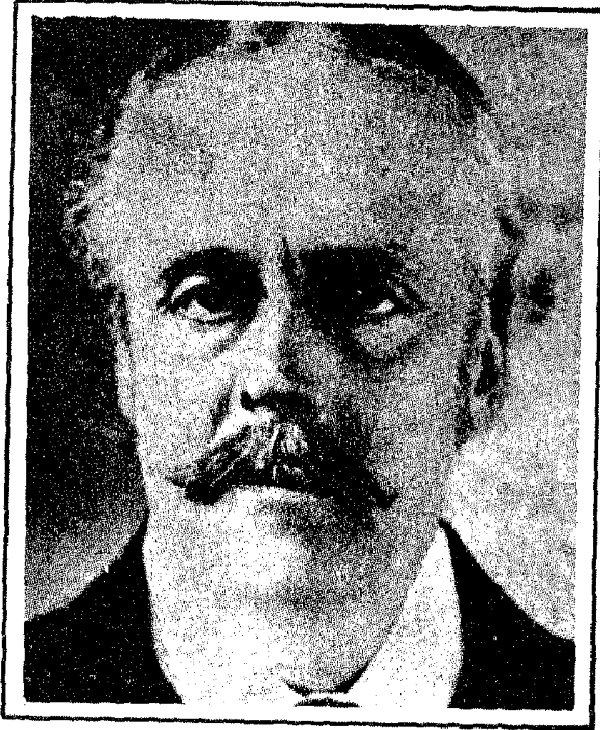
ويفسر هذا زيادة الإهتمام البريطاني بما كان يحدث في فلسطين نتيجة للهزائم التركية. وسعت الأجهزة البريطانية إلى ترويج الدعاية القائلة بأن

أحسن بديل للحكم العثماني في هذا الجزء من العالم هو امتداد الحدود المصرية إلى حدودها القديمة في عكا. وكان هذا الرأي ينتشر قبلاً بين اليهود إلا أن الدعاية البريطانية حاولت نشره بين سائر الأوساط. ولعب نائب القنصل البريطاني في غزة لوجوده قرب الحدود المصرية التركية ولعلاقاته الوثيقة بالأهالي، دوراً كبيراً بنقل أخبار منطقته ومنطقة بئر سبع ورغبة القبائل البدوية هناك في الإلتحاق بمصر.

فلسطين بين مصالح فرنسا وإنكلترا.

ونظراً لأن فرنسا كانت قبل الحرب العالمية الأولى تعتبر صاحبة الإدعاء الأول في سورية وأنها البديل الوحيد للحكم العثماني في سوريا، فقد بدأت الصحافة الفرنسية توجه اتهامها بوجود تآمر بريطاني على سوريا لإحتلالها وأن مصر مصدر هذا التآمر وأنكر كتشنر في رسالته إلى غراي في ٨ كانون أول/ ديسمبر ١٩١٢ هذا الإتهام مع تأكيده على وجود شعور موالٍ لبريطانيا في سوريا. وأعلن بوانكاريه Poincaré رئيس وزارة فرنسا أمام البرلمان الفرنسي في كانون أول/ ديسمبر ١٩١٢ موقف بريطانية في نفي تهمة التآمر على سورية. ورأت الصحف الفرنسية بأن ذلك إعتراف من بريطانيا بالمصالح الفرنسية.

وهكذا فإن دوائر الخارجية البريطانية قد قبلت قبل الحرب العالمية الأولى بالرأي القائل بأن سورية هي منطقة نفوذ سياسي فرنسي، إلا أن السؤال الوحيد الباقي والذي يهم المصالح البريطانية الحيوية هو أين يرسم الحد الجنوبي (لسورية الفرنسية) في المستقبل؟ أو بعبارة أخرى ما هو مصير الجزء الجنوبي من الشاطئ الذي يحمل الإسم التاريخي لفلسطين؟ واكتسب الرأي القائل بأنه في حالة تجــزؤ الأمبراطورية العثمانية يجب بذل الجهد لفصل سورية الجنوبية حتى ميناءي حيفا وعكا وتشكيل كيان منفصل تحت النفوذ البريطاني، اكتسب هذا الرأي تأييداً في دوائر



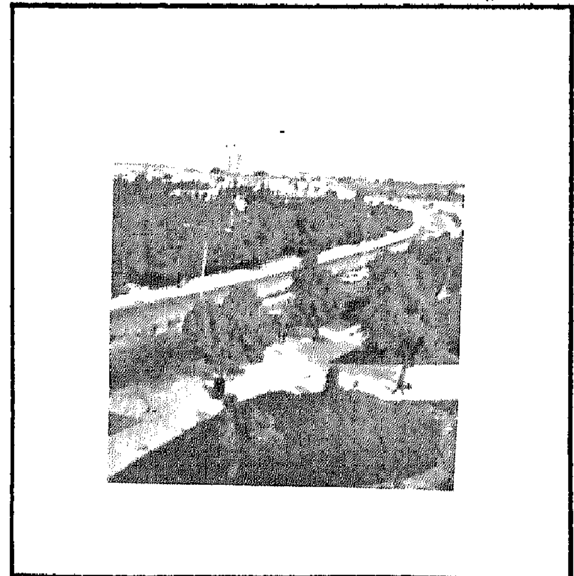
بلفور

معينة في مصر وإنجلترا، ومن المعروف أنه قد رسخت في ذهن لورد كتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) منذ أيلول/ سبتمبر ١٩١١ وحتى اندلاع الحرب هذه الفكرة وعمل على نشرها في الدوائر الرسمية قبل الحرب.

وتمكنت البعثة من مسح صحراء سيناء في المثلث بين بئر السبع والعقبة – وادي عربة وعدلت نتائج تحرياتها إلى حد كبير الفكرة السائدة بأن نقص المياه ومصاعب النقل تمنع أي هجوم خطير من فلسطين، كما أن المعلومات التي قدمتها البعثة عن الصفات الطبيعية ووصف الأماكن ومواقع المياه مع الصور التوضيحية والمخططات كانت ذات قيمة كبرى بعد نشوب الحرب حين توجهت الأنظار إلى شمال سيناء. ولم ينشر (صندوق الاكتشاف الفلسطيني) هذه الدراسة والخرائط التوضيحية الملحقة بها في حينه بناء على طلب وزارة الحربية التي رأت «أنه من غير المرغوب أن تصل إلى عدو يمكن أن يجعل هذا البلد قاعدة للهجوم على مصر». ونشر البحث تحت عنوان (صحراء التيه) بعد احتلال القدس ١٩١٧.

ولما تفجرت الحرب وانضمت تركيا إلى دول الوسط لم تكن بريطانيا على استعداد لاحتلال الجزء الجنوبي من فلسطين والدفاع عن مصر من جهة حدودها الشرقية ، فتخلت لفترة عن الجزء الأكبر من سيناء للقوات التركية وقنعت بصد الهجمات عن القناة ، وفي الأيام الأولى من شباط/ فبراير ١٩١٥ تقدم جيش تركي قوامه/٢٠٠٠٠/ مقاتل نحو منطقة القناة وهاجم عدة مواقع وأمكن رده بسهولة ، ولكن مجئ الجيش التركي كان درساً موضوعياً للإستراتيجية البريطانية بالنسبة للخطر الذي يهدد مصر والقناة من عدو يحتل فلسطين.

لقد تحققت بريطانيا بعد كل هذه الإعتبارات ونتيجة للمراحل الأولى للحرب أهمية فلسطين الإستراتيجية ، والخطر على مصر والقناة من عدو يحتل مصر ، وان الضرورة العسكرية تحتم مد حدود سيناء ، ومن أجل تنفيذ خطة سياسية عسكرية لحصول بريطانيا على فلسطين ، بحيث يكون لها الإشراف المنفرد عليها ، أخذت تتحرك ببطء ، فأخرجت فلسطين أولاً من دائرة نفوذ فرنسا وفي اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ وافقت بريطانيا على وضع فلسطين تحت الإشراف الدولي – عدا خليج عكا وحيفا – تمهيداً لنقلها إلى منطقة النفوذ البريطاني .



جانب من مدينة بئر السبع عاصمة النقب الشمالي

ولما قامت القوات التركية بهجوم غير ناجح صيف عام ١٩١٦ على القناة رفضت القوات البريطانية أن يشاركها في احتلال فلسطين قوات أخرى من الحلفاء بما فيهم قوات الثورة العربية ، في وقت سمحت فيه لفيلق يهودي بالإلتحاق بالحملة البريطانية . كما تعاونت مع شبكة تجسس صهيوني .

ولأن فلسطين الآن وكما كانت دوماً مفتاح مصر . ولذلك فإن مشكلة الدفاع عن مصر ، والتي تدعى (بكعب أخيل) الأمبراطورية البريطانية البحرية ، ذات مكانة فريدة في النظام الإستعماري الأمبريالي البريطاني .

ولقد وصل هذا التقليد الطويل للإهتمام والعطف البريطاني على الصهيونية ذروته بتصريح بلفور ونقلت منشورات المنظمة الصهيونية بعد صدور تصريح بلفور رأى الصحافة البريطانية . فذكرت ايفننغ ستاندرد Evening standard «أن المصالح البريطانية كانت قد أوضحت دوماً أن لا بد من قيام دولة حاجزة بين مصر وبين حكومة تركية معادية ، ويظهر أن الصهيونية قدمت هذا الحل» .

ومع أن الأمبراطورية العثمانية قد زالت من الوجود بعد الحرب ، وهزمت ألمانيا كقوة أوروبية كبرى ، وساهم العرب كشركاء في نصر الحلفاء . وزال التهديد الألماني التركي لمصر من الشرق . ظلت بريطانيا تدعم الوجود الصهيوني في مؤتمر السلام . وكانت فلسطين من حصتها كدولة منتدبة واشترط صك الإنتداب تنفيذ تصريح بلفور . لم يكن ذلك إلا لوجود خطر واحد يهدد المصالح البريطانية التي تحوم حول قناة السويس الطريق البحرية التي تؤدي إلى الهند ، عبر عنه كاتب عربي في عام ١٩١٩ بقوله : «فان حسب سياسيو إنكلترا ان امكانية اتحاد الامم الناطقة بالضاد الساكنة لشرقي القناة سيهدد سلامتها فانهم برأي كاتب هذه السطور يؤسسون ولاية يهودية لتفصل بين العالم العربي وتحمي القناة» ■

نحو تاريخ بدون تزييف...

بعد الرسالة التي أثار فيها أحد قرّاء «تاريخ العرب والعالم» مسألة البت نهائياً فيما إذا كان الأمير فخر الدين المعني الثاني بطلاً وطنياً كما يقول البعض، أم متعاوناً مع الأجنبي، كما يقول البعض الآخر. وبعد الرد الذي كتبه «لتاريخ العرب والعالم» الاستاذ محي الدين قدورة (العدد ٤) والذي تبنى فيه مدرس التاريخ وجهة النظر الثانية. وبعد ان ردّ أيضاً المحامي الأستاذ عصام العريضي على الرد مبرئاً ساحة الأمير فخر الدين (العدد ٥)... ها هو العقيد الدكتور ياسين سويد يدلي بدلوه، عارضاً وجهة نظره.

لا تحكموا على فخر الدين قبل أن تحاكموه

ع. د. ياسين سويد

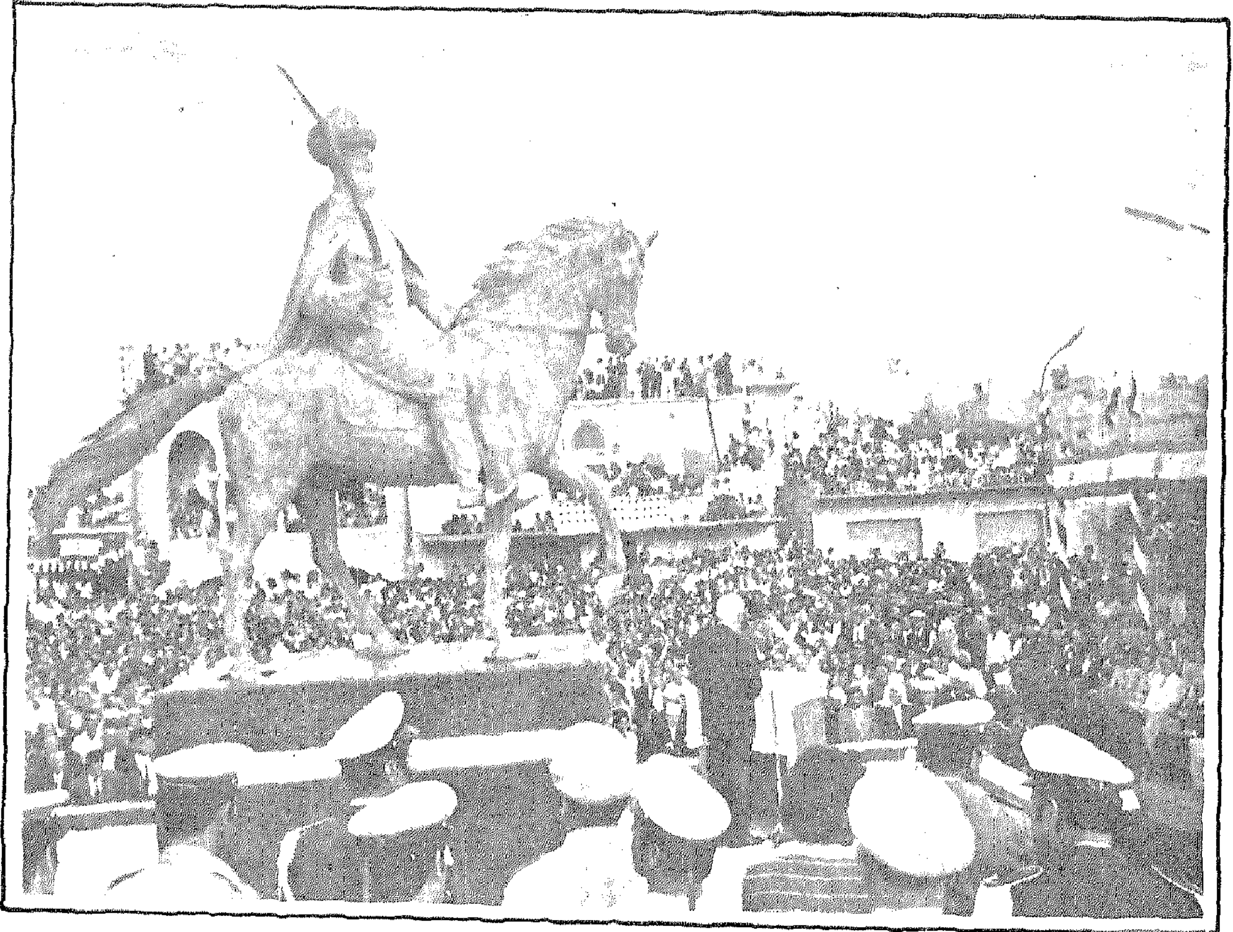
قرأت رسالة السيد سامي الشامي (النبطية) وما ورد فيها من شكوك حول سيرة الأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير، كما قرأت رد الاستاذ محي الدين قدورة على هذه الرسالة. وبصفتي واحداً من الذين سعوا وراء الحقيقة في هذا المضمار سنوات طويلة (أربع سنوات من التحضير لرسالة الدكتوراه في التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في العهد المعني، وخاصة عهد فخر الدين)، رأيت من واجبي أن أسهم في هذا الحوار المفيد لعل ذلك ينير بعض الجوانب المظلمة في تاريخ هذا الأمير العربي.

بادىء بدء، يجدر بي أن ألفت انتباه المتحاورين إلى أنه لا يجوز أن نحكم على فخر الدين قبل أن نحاكمه. كما يجب ان لا تنطلق محاكمتنا له من الادانة بل من الظن، فالمتهم يظل، في القانون، ظنيناً، إلى ان تثبت براءته أو يدان.

وهكذا أراني مضطراً الآن لأن أوضح بعض الحقائق التي تمكنت من التوصل اليها (والاقتناع بها) من خلال بحثي في سيرة هذا الأمير.

أولاً: فيما يختص بتعامل الأمير فخر الدين مع الغرب، وخاصة توسكانه:

■ استقى السيد الشامي المقاطع التي أوردها في رسالتـه الى تـاريخ العرب والعـالم (عدد ٤ ص ٣٦) من كتاب للمؤرخ الشيخ علي الزين (للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ٢٣٩ و ٢٤٢)، واذا عدنا إلى كتاب الشيخ علي الزين نراه بدوره يرجع في ذلك الى كتاب للأب بولس قرأ لي (فخر الدين ودولة توسكانة طبعة ١٩٣٨، جـ ٢: ١٤٤) وبعودة إلى كتاب الأب بولس قرألي المذكور نجد ان هذا الأخير يقع في مغالطات لا أول لها ولا آخر، دون أن يسند رواياته إلى أي سند وثائقي، معتمداً في سرده على بساطة القارئ وسذاجته. اذ يذكر الأب قرألي ان فخر الدين «عاد إلى الوطن في أواخر أيلول (سبتمبر) عام ١٦١٨ وتمكن من توحيد لبنان (أي لبنان؟) والتبسط في سوريا شمالاً وفلسطين جنوباً... وفي سنة ١٦٢٤ كتب (أي فخر الدين) رأساً الى البابا أوربانوس الثامن حاثاً اياه على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة الخ... فاهتم اوربانوس للأمر وأوفد عام ١٦٢٥ الأب توما بن نافار ليفاتح به بلاط توسكانه، غير ان التنافس بين اسرتي بربريني ومديتشي اسرتي البابا وتوسكانة، شل المشروع» (ص ١٤٣ - ١٤٤). ان مثل هذا القول غير المستند إلى الوثائق التاريخية الصحيحة الدامغة والحجج والبراهين التي لا يرقى اليها الشك. ان هو في نظرنا الا



- احتفالات لبنان بذكرى الأمير فخر الدين المعني.

افتئات على الأمير المعني وتجريح لطموحه السياسي ، فمما لا شك فيه ان فخر الدين كان يطمح إلى اقامة حكم ذاتي لامارته في نطاق السيادة العثمانية ، وكان حاكماً اقطاعياً يرغب في توسيع امارته على حساب المقاطعات المجاورة له ، وكان ذلك ممكناً في كل حين بالنظر إلى اتساع رقعة الامبراطورية العثمانية من جهة ، وإهمال السلطنة للمقاطعات البعيدة عن مركز القيادة والادارة في الاستانة من جهة أخرى ، بحيث انه لم يكن يهمها من تلك المقاطعات إلا الحصول على الضرائب (والجند عند الضرورة) ، ولكن الذي يظل موضع شك وريبة هو تلك الرواية التي أوردها الأب قرألي وتناقلها بعده ، وعنه ، الكثير من المؤرخين اللبنانيين دون تحقيق أو إثبات ، والتي تفيد أن فخر الدين كان يسعى لأن يعيد مملكة أورشليم الصليبية ، وقد ثبت بالدليل القاطع عدم صحة هذه الرواية ، أثبته الخالدي الصفدي مؤرخ الأمير ومعاصره ، والذي رافقه في هجرته إلى توسكانة منذ عام ١٦١٣ وحتى عودته إلى بلاده عام ١٦١٨ ، عندما روى ، في احداث العام ١٦١٥ ، ما يلي ، وبالحرف :

«...كان عند الأمير يسير – أي أسير – معتوق للشيخ ناصر المذكور وكان رجل متصوف بقا يصلي في الأمير جماعة في رمضان واحمد صبايا في بيروت بقا يؤذن... وكان عند الأمير ذلك اليسير والشيخ ناصر الدين من صفد فجاء اليسير الى الشيخ وقال له : فيه رجل مراده يجتمع فيك في جنينة الدوكا – أي الدوق – فقال له جايز فراح قدامه الأسير وراح معه فلما وصل إلى الجنينة قعد يتفرج إلاّ والدوكا باشه نابل – نابولي – طالع لعنده واتآخذ منه – أي فوجيء به – الشيخ ناصر فطيب خاطره وقال له مرادنا نرسل معك كلام إلى الأمير فدخل معه إلى مشلح الحمام وقال له : أنت من أين وكم لك سنة في خدمة الأمير؟ فقال له : أنا من صيدا ولي في خدمة الأمير من صغري ، فشال له الدوكا مكتوب وقال له : هذا جاء من سلطان اسبانيا مضمونه انكان الأمير فخر الدين يدخل في ديننا نعطيه حكم على قدر ما كان عاطيه سلطان المسلمين في بلاده وأزيد وانكان ما يرضى بذلك ان أراد يقعد وان اراد يروح إلى بلاده فقال له : نعرض الكلام على الأمير ونجيب لك الجواب فجاء الشيخ ناصر الدين احكا للأمير ذلك فقال له : روح رد الجواب على الدوكا وتشكر من سلطان أسبانيا ومنه وقول له الأمير قال ما جينا إلى هذه البلاد لا كرامة دين ولا كرامة حكم ولا حكومة ، بل لما جاء علينا عسكر ثقيل جينا ، احتمينا عندكم واحميتوا رأسه وراعيتوه ولكم بذلك الفضل والجميل والمنة. ان أردتم هو قاعد عندكم على حاله وان أرسلتموه إلى بلاده فهو المراد لأن له أهل وتوابع وبلاد».

(الخالدي الصفدي ، تاريخ فخر الدين ، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت عام ١٩٦٩ تحقيق رستم والبستاني. ص ٢٣٥ – ٢٣٦).

أهملوه وخافوا معرفته بأسرارهم

لقد كان جواب الامير اذن على هذه العروض الاسبانية والتوسكانية هو الرفض القاطع وذلك في وقت كان الامير فيه أحوج الناس الى المساندة المادية والمعنوية ، اذ ذكر الخالدى انه ، في ذلك الحين ، كانت توسكانة قد اهملت فخر الدين اهمالا كليا



— رسم خيالي للحاج كيوان، مدبّر الأمير فخر الدين المعني الثاني.

(ربما بعد ان يئست من تعاطفه مع مشاريعها ومشاريع اسبانيا التوسعيّة) حتى أنه اضطر، خلال إقامته بتوسكانة الى أن يبيع حلى زوجته خاصكية — وقد كانت معه — لكي يعيش، قال الخالدي في ذلك: «... وما عادوا داروا بالهم منه مثل عادتهم، ولا عادوا أعطوا العلوفة — اي المصروف — المعتادة، وبقا الأمير يبيع صيغة وحوائج ويخرج — اي يصرف — على نفسه وعياله الذي معه، وبقي على هذه الحال مدة في نابل — نابولي — » (الخالدى — م.ن.ص ٢٣٥).

ومما يؤكد رفض الأمير لمشاريع الغرب التوسعية على حساب سيادة أرضه وقومه هو أن سلطات توسكانة حاولت منعه من مغادرة البلاد في العام ١٦١٨ خشية ان ينقل إلى السلطنة اسرار دوقيتهم، قال الخالدي في ذلك: «... وما بقوا — أي الأمير وعياله — متعوقين إلا على ورقة الاجازة لأن العادة عندهم — أي عند التوسكانيين — ان ما يقلع مركب ألاّ بورقة اجازة وبقا الأمير يطلب الورقة من الدوكا وهو يطاول — أي يماطل — فكأن أحداً قال له ما هو مليح أن يتوجه ابن معن إلى بلاده لأنه اتطلع — أي أطلع — على بلاد النصارى وأحوالهم. فبقي الدوكا يطاول في ورقة الاجازة ثمانية أيام والاعيال والأولاد والأسباب في المركب».

ويتابع الخالدي فيقول إن الأمير، بعد هذه المماطلة، قرر أن يفجر المركب بمن فيه، بالبارود، ثم قصد إلى الدوق ليأخذ منه قراره النهائي بالسماح له بمغادرة البلاد أم البقاء فيها. وقال — أي الأمير — إلى الدوكا نحن ما نزلنا إلى المركب الأعيال والأسباب، إلا بأجازتك ورضاك، ولهم ثمان أيام في هذا الشوب وعليهم صيام رمضان، مرادنا منك ورقة الاجازة في السفر، فقالت له امرأته — أي الدوقة — : ما دامك أعطيته قول واقرار في التوجه إلى بلاده أعطيه ورقة الاجازة. وخليهم يتوجهوا الآن أعياله وأولاده وصاروا في المركب، فقال جايز حتى يجي إلى عندي عشية حتى أكتب له ورقة الاجازة...».

وفي المساء استدعى الدوق الأمير فخرالدين وأخذ يحقق معه لفترة طويلة كي يتأكد منه أنه لن يذهب — أي الأمير — إلى «اسلامبول» — ولن يفشي بأسرار الغرب إلى الدولة العثمانية، ثم سمح له بعد ذلك بالسفر (الخالدي م. ن ص ٢٣٧ — ٢٣٨). هذا بالاضافة إلى ما أورده الأب قرألي نفسه، نقلا عن بعض الوقائع المديتشية. من أقوال في الأمير في أثناء اقامته بتوسكانة تثبت عدم انصياعه لمساعي الغرب. فقد ذكر أن الأميرال «انجرامي» قال عن الأمير: «لما كان

الأمير متوحشاً فهو لا يقصد من طلباته المختلفة سوى تكبيد الغراندوق النفقات بلا طائل. وقال عنه الوزير «انرمباردي»: «جميع المبالغ التي تنفق في سبيل الأمير مطروحة في البحر». وقال «جويدي» أمين سر الغراندوق: «الوقت والمال ضائعان في سبيل الأمير» (قرألي م. ن. ج ٢: ٢٤).

وهكذا نرى أن ما أورده الأب قرألي من وثائق تدين فخر الدين في هذا المجال ولا تشرفه، إن هي إلا وثائق تحتاج إلى كثير من التأكيدات والأثبات، وهذا لا شك ينفي كل قول بأن فخر الدين كان «على استعداد لتقديم الدعم اللازم لأية حملة تقوم بها الدول الأوروبية لاسترجاع بيت المقدس» وانه كان «يقوم بتحريض أوروبا وعلى رأسها البابا للاسراع في التحرك للوصول إلى الأهداف المشتركة» حسبما ورد في رد الاستاذ قدورة (تاريخ العرب والعالم العدد نفسه ص ٣٧). ومما يجدر ذكره ان المعاهدة المشار اليها في رد الاستاذ قدورة والتي عرضتها توسكانة على فخر الدين عام ١٦٠٨ (بعد سقوط علي باشا جنبلاط والي حلب)، لم تقترن بموافقة الأمير الذي استقبلها بشيء من الفتور، «كأنها لم ترق له» حسب قول الأب قرألي نفسه، وكأنما رفض الأميرالقبول بها مما اضطر السفير ليونشيني إلى ان يؤكد له «ان رغبة الامراء المسيحيين في استرجاع الأراضي المقدسة غير ناجمة عن طمع في التوسع، بل جل مراميهم ان يسهلوا على الحجاج المسيحيين زيارة الأماكن المقدسة» كما أكد له أن رغبة الدوق أن يراه - أي الأمير - يوماً «ملكاً على سورية، كاسراً شوكة الامبراطورية العثمانية»، (قرألي م. ن. جـ٢: ٢٧٣).

ورغم كل ذلك، فان المعاهدة لم تر النور بعد أن رفض الأمير القبول بها، محتفظاً رغم ذلك، بقدر من الصداقة بينه وبين توسكانة، وأكبر دليل على رفضه لها أنه لم يتلق أية مساعدة في حربه مع جيوش والي الشام عام ١٦١٣، مما اضطره إلى الفرار من بلاده واللجوء إلى توسكانة طيلة خمس سنوات (١٦١٣ - ١٦١٨) كما قدمنا، كما انه لم يتلق أية مساعدة من حلفائه الغربيين في حربه الأخيرة والمصيرية مع العثمانيين عام ١٦٣٣.



- الأميرة خاصكية.. رافقت الأمير إلى توسكانا.

وأفضل تحليل لهذه المسألة علاقة الأمير بالغرب، وتوسكانة خاصة. نجده عند المؤرخ الايطالي. جيوفاني ماريتي إذ تمكن هذا المؤرخ من البحث والتنقيب بالمحفوظات التوسكانية المتعلقة بفخر الدين ودقق في وثائقها قبل الأب قرألي «بقرن ونصف القرن» فوضع بعد ذلك كتابه المسمى «تاريخ فخر الدين أمير الدروز»

Istoria Di Faccradino
Grand Emir Dei Druz;

وطبعه في ليفورنو عام ١٧٨٧ (طبع كتاب الأب قرألي عام ١٩٣٨)، وهو، وان كان قد عبأ بعض الثغرات «بتخيلات خارجة من دماغه» حسب قول الأب قرألي نفسه، فأنه قد أعطى حكماً فيه الكثير من المعقول والمنطق. قال ماريتي: «كان قوزما الثاني ميالاً إلى العظمة، فاغتنم فرصة وجود فخر الدين في توسكانة وأخذ يناقشه في الطريقة لانجاح مشروع مساندة الأمير في سوريا لتوسيع فتوحاته وتأمين استقلاله عن الباب العالي، وبما أن قوات الغراندوق لم تكن كافية لمثل هذا المشروع، فإن البابا وملك اسبانيا قد يكونان العون للأمير وباستطاعة الغراندوق الاستفادة منهما لتحقيق أهدافه... وبوشر الاتصال بالبابا لحمله على مساندة فخر الدين، وهو أمير من ديانة غير مسيحية... وكان قوزما الثاني يسعى وراء مصالحه الخاصة... فلم يخش استعمال الديانة كوسيلة لذلك، فوصف فخر الدين بأنه مضطهد من الأتراك وأنه حامي المسيحية في سوريا وأنه اذا سانده الأمراء المسيحيون بالسفن والسلاح فسوف يجعلهم أسياداً لمرافئه البحرية ويعطي المسيحيين حراسة قلاعه مبيناً هكذا عزمه على عدم الثقة بالأتراك... وكان فخر الدين يؤكد أنه. بمعاونة مسيحيي المنطقة وتجنيد رجال يقودهم زعماء أكفاء، يمكنه استرجاع القدس. وانه قد حان استرجاعها، وعلى البابا وملك اسبانيا عدم تفويت هذه الفرصة. هذا ما قاله «بيكنا» إلى «غويتشارديني» سفير قوزما الثاني. غراندوق توسكانة في روما، واعلم «بيكنا» «غويتشارديني» ان الغراندوق أرسل سفينة حربية مسلحة إلى سوريا لاستطلاع أحوال البلاد، والأمل كبير بأن يعتنق فخر الدين وشعبه الديانة المسيحية ويقدموا الطاعة للكرسي الرسولي، مظهراً أن الله سيستخدم هذا الرجل لعظمة الكنيسة واسترجاع القبر المقدس». ويتابع ماريتي: «وكان «بيكنا» رجلاً فطناً، اذ كان متأكداً من البداية ان الدين لن يربح أي شيء، وأن فخر الدين سيبقى على دينه. وان القدس سوف تبقى تحت حكم الاتراك.. وكانت كل أفكار هذا الوزير، بالرغم من أنها مكتسية بالغيرة الدينية، تهدف إلى استخدام البابا وملك اسبانيا لمصالح عائلة مديتشي. لأنه ليس من صالح البابا ولا من صالح ملك اسبانيا ان يكون لها منشآت في تلك المناطق». (ماريتي المصدر نفسه، ص ٩٨ - ١٠٣. نسخة ايطالية).

ويتابع ماريتي في مكان آخر «في المعاهدات التي وقعت عام ١٦٠٧ مع جنبلاط رئيس الثوار في سوريا والمعاهدات التالية مع فخر الدين عام ١٦٠٨. كان يؤتى دائماً على ذكر فتح القدس... وعام ١٦١٣. عندما قدم فخر الدين إلى توسكانة. شاعت من

جديد آمال احتلال القدس ، ولم تكن هذه الفكرة سوى اشاعة شعبية تتوغل في ذهن الأمير جيوفاني مديتشي وبعض المهووسين ، ولم يشأ البلاط إظهار استنكاره لأمل لا أساس له» (م. ن، ص ١٢٦ و ١٢٨) ويرى ماريتي أن سياسة قوزما الثاني ووزرائه في إرضاء فخر الدين لم تكن سوى «وسيلة للوصول إلى مصالحهم للتجارة مع سوريا» وان فكرة احتلال بيت المقدس لم تكن سوى «وسيلة لاقناع بلاط روما لتأييد غايات توسكانة السياسية والاقتصادية ، وتهدئة شعور الجهال الذين ربما يرون ان المبالغ التي تصرف لارضاء أمير تختلف ديانته عن ديانتهم ليست إلا تبذيراً» ، ويختم ماريتي رأيه هذا بقوله : «بعد هذا التوضيح ، سنكف عن الكلام عن هذا الموضوع الذي خلقه خيال العامة وتداوله من يجهل أمور مجلس الوزراء والذي لم يكذبه هذا المجلس لغايات سياسية» (م. ن. ص ١٢٨ - ١٢٩)

ربما كان الأمير قد توسل ، لتحقيق طموحه السياسي ، كل الوسائل ، السلمية منها ككسب الصداقات إما بالمال أو بالمصاهرة ، والقتالية ، كإرغام حكام المقاطعات المجاورة على محالفته خوفاً من بطشه ، ودرءاً لخطره ، وقد نجح إلى حد ما في هذا المجال ، الا انه لم يتمكن من التوفيق بين طموحه السياسي وكسب ثقة الباب العالي ، مما دفعه إلى البحث عن تحالفات قوية خارج حدود بلاد الشام ، فمد يده إلى دول أوروبا التي دفعته بعيداً في هذه الطريق ، وورطته ، دون أن تسعفه عند الضرورة ، وفي اللحظات المصيرية . وربما كان مرد ذلك أيضاً عدم الثقة بين الحليفين ، فلم يكن الأمير مطمئناً كل الاطمئنان إلى نوايا هذه الدول (توسكانة ، واسبانيا ، والكرسي الرسولي) كما لم تكن هذه الدول مطمئنة إلى ان بوسع الأمير ، أو بوده ، أن يخدم مصالحها في بلاد الشرق ، فوقع بينهما الانفصال الكبير عندما وضع تحالفهما ، جدياً ، على المحك .

وربما كان الأمير قد أغدق الوعود المغرية للدول الأوروبية «الصديقة» فوعد بلاط توسكانة بتسهيلات في «المقاطعات والمدن والمرافئ البحرية والتجارة» ووعد الكرسي الرسولي بتسهيلات تفوق الحد للمسيحيين في بلاده ، إلا أن جميع هذه الوعود لم تجد نفعاً ساعة الحسم بينه وبين الدولة العثمانية ، فحاول ان يستحث غراندوق توسكانة وسواه من حلفائه الأوروبيين ، ويستنهض هممهم لنجدته ، فلم يلق من أحد منهم أذناً صاغية ، حتى ان حلفاءه في الداخل تخلوا عنه ، ولم يبق منهم إلى جانبه سوى أقاربه الشهابيين ، حكام وادي التيم ، الذين لاقوا معه المصير نفسه ، ولكن الأسرة الشهابية جنت ثمار هذا التحالف ، فيما بعد ، بأن ورثت الاسرة المعنية في حكم إمارة الشوف .

والتفسير الوحيد الذي تقودنا اليه قناعاتنا ، بصرف النظر عن التفسيرات الهامشية الأخرى كانشغال توسكانة بالطاعون أو بحرب البيمونت ، أو عدم رغبتها في التصدي للدولة العثمانية دفاعاً عن الأمير ، أو كقرار البابا أوربانوس الثامن بان الظروف «تحول دون جمع جيوش قوية للتدخل وراء البحار» ، هو ان كلا من الحليفين ، الأوروبي والمعني ،

لم يكن مؤمناً بهذا التحالف ومطمئناً اليه ، فلا الأمير كان مستعداً للتخلي عن سيادته على بلاده ، أو تحرير الأرض المقدسة بقصد تسليمها للدول الأوروبية ، كما لم يكن مستعداً للتخلي عن دينه ،كما ظهر لنا من تصرفه في أثناء اقامته بتوسكانة ، ولا الدول الأوروبية كانت مستعدة لأن تتورط في حرب صعبة ، وربما غير متكافئة ضد الدولة العثمانية وفي عقر دارها ، إكراماً للأمير.

وهكذا ، وفي العام ١٦٣٣ ، وأمام الحملة العثمانية على بلاد الأمير ، انهارت كل تحالفاته ، المشرقية منها والأوروبية ، فانفض الحلفاء الأقربون عنه ، وأدار له الحلفاء الأوروبيون ظهرهم ، فسقط الأمير ، وسقطت معه كل آماله وطموحاته .

* * *

ثانياً : فيما يختص بوقعة عنجر :

لا شك في أن ما ذكره الشيخ علي الزين في كتابه عن وقعة عنجر (ص ٢٤٥) فيه الكثير من المنطق ، فهو اذ يتساءل اذا كان انتصار فخر الدين في عنجر انتصاراً جدياً غير مبني على الخيانة والمكر يورد ، في معرض حديثه عن هذه المعركة ، مبررات لشكه وبعض المظاهر التي تدله على التآمر والخيانة في صفوف جيش والي الشام ، منها غضب الوالي على كورد حمزة بعد اكتشافه لدوره في المعركة كعميل للأمير وقيام فخر الدين بقتل الحاج كيوان بعد المعركة بأيام لسبب تافه جداً وبعد أن افتضح دوره أيضاً ، ولم يعد بامكانه التستر عليه ، ومنها أن هجوم



– الأمير فخر الدين يدخّن الغليون في توسكانا.

الأمير تركز على اللواء الذي كان يقوده الوالي بنفسه والذي انهار بسرعة مما يدل على أن هناك اتفاقاً مستتراً بين قادة هذا اللواء وجماعة الأمير، الخ ... (م . ن ، ص ٢٤٦ – ٢٥٣) ان مظاهر الشك هذه وان تركت الكثير من التساؤل الرصين حول جدية هذه المعركة ، خاصة اذا تبينا الفارق الكبير في العدد بين الجيشين (٥ آلاف مقابل ١٢ ألفاً) واذا تذكرنا الدور الذي قام به فخر الدين المعني الأول (جد الأمير فخر الدين المعني الثاني) في مرج دابق عام ١٥١٦ (تآمره على السلطان قانصو الغوري وانحيازه للسلطان العثماني) واذا تذكرنا عملية الرشوة التي أجراها الأمير وحليفه علي باشا جنبلاط والي حلب لباشوات الجيش الشامي في معركة عراد عام ١٦٠٦ والتي ذكرها المحبي بكل وضوح (المحبي، خلاصة الاثر جـ ١ : ١٣٧) نقول : ان مظاهر الشك

هذه، وان اثرت إلى حد كبير في قناعاتنا، تظل غير ملزمة لنا للأخذ بها، طالما أن أحداً من المؤرخين لم يكتشف من قبل ما يؤكدها كما اكتشف المؤرخون الأولون سابقاتها وتحدثوا عن المؤآمرات التي جرت في معركتي مرج دابق وعراد.

يبقى علينا ان نختتم هذه المحاولة في التحليل بما يلي:

انه لمن المفيد جداً، بل ومن الممتع حقاً، وفي ظروف كالتي نحن فيها، ان يحال فخر الدين إلى محكمة عدل تقرر مصيره بين الرجال من تاريخنا، ففي ذلك احياء لتراثنا وتطهير لتاريخنا من الشوائب التي لحقت به تبعاً لمختلف النزوات والعواطف، وما أكثرها، كما فيه خروج من الجو الخانق المتأزم والمتوتر الذي نعيشه وانعتاق من مآسي الحرب التي عشناها وما نزال، ولعل هذه المحاكمة تكون منطلقاً لمحاكمات «تاريخية» أخرى يعاد النظر من خلالها، في كثير من «الحقائق التاريخية» وتكون سبباً لفتح الكثير من الملفات وتعديل لكثير من المفاهيم.



عينا ويلسون!

– كتب أحد الصحفيين الانجليز يصف هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا السابق: «ان الدارس لشخصية هذا الرجل، أشبه ما يكون بباحث في صفات سمك القرش، ففي رأس ويلسون العينان الباردتان الزرقاوان نفسهما، اللتان تنطقان بالمكر والدهاء».

وتوقع المراقبون السياسيون أن يثور رئيس الوزراء على هذا التشبيه الذي سبق أن نشرته احدى الصحف البريطانية الواسعة الانتشار.

وانقضت بضعة أيام قبل أن تنشر صحيفة أخرى خطاباً مفتوحاً من رئيس الوزراء للصحفي.. قال ويلسون: «اقترح أن تعود مرة أخرى إلى المدرسة لدراسة خصائص سمك القرش. فالثابت ان لون عيني هذه السمكة الكبيرة ليس أزرق كما تدعي».





* كانت من ربات الفصاحة والبلاغة، وكان لها رأي راجح وشخصية قوية وكانت زوجة للحجاج بن يوسف.

* لم يمنعها زواجها من حاكم له سطوته من أن تعمل بيدها، وقد زارها (زياد بن عبد القرشي) فوجدها تصنع ثوباً لها على مغزل فسألها: «أتغزلين وأنت امرأة أمير؟» فقالت له: إن العمل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس، وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أطولكن طاقة أعظمكن أجراً».

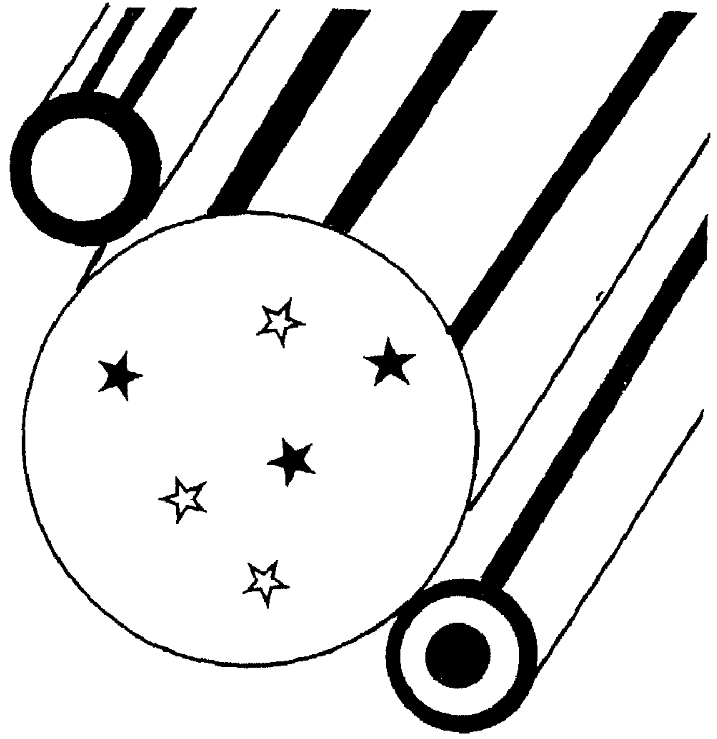
* كانت على الرغم من قوة شخصيتها تؤمن بوجوب طاعة الزوجة لزوجها ومن أقوالها المأثورة: «المطيع محبوب، فالطاعة مقرونة بالمحبة والعاصي ممقوت فالمعصية مقرونة بالبغض».

* أمر عمر بن عبد العزيز بحبس أخيها فذهبت إليه هند وقالت له وهو بين حاشيته: «يا أمير المؤمنين علام حبست أخي»؟ فقال لها عمر: «تخوّفت أن يشق عصا المسلمين» فقالت له: «هل العقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب؟» فخجل عمر وأخلى سبيله.

* قال الأصفهاني في كتاب «الأغاني» إنها كانت تسبح بمسبحة من اللؤلؤ وهي جالسة بين الفقراء فإذا فرغت من تسبيحها قطعت خيط المسبحة وألقت اللؤلؤ على الفقراء ليتقاسموه.

العرب روّاد علم الفلك

د. نقولا شاهين



● عندما نلقي نظرة على ما يجري حولنا في هذه الأيام، من تطورات في حياة مجتمعنا، لا نتمكن من التعامي عن النقص الذي يحصل في حياتنا الثقافية، بينما تكثر المنشورات من كتب وصحف ومجلات، بدون أن يكون هناك ما هو جدير بالذكر في حقل تراثنا العلمي. ذلك التراث الذي كان ولا يزال معجزة للعالم فيما مضى. ولا يزال علماء الغرب ينقّبون في المخطوطات التي تركها العرب والتي كانت أساساً لما نراه اليوم في حقول العلم المختلفة. أما ان العرب هم روّاد عالم الافلاك فهو أمر أثبته تاريخ العلم.

فمن البداوة إلى السيطرة على الشرق والغرب كان شأن العرب من منتصف القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن الميلادي). وذلك في احياء العلوم على اختلاف أنواعها ومنها الرياضيّة والفلكية، وامتد ذلك إلى القرن السادس عشر الميلادي. وتم بذلك نهوض أقطار أوروبا من غباوتها وعبوديتها للأوهام، وتولد من ذلك ثورة علمية نشهد آثارها في الفتوحات العلمية الحديثة.

(*) استاذ في العلوم، معلم في الجامعة الأميركية في بيروت مدة ثلاثين عاماً، مدير سابق لمرصد الجامعة المذكورة، مثل لبنان في مؤتمر الدقائق الذرية الذي رعته الأونيسكو في الجامعة السورية في دمشق سنة ١٩٥٦. تخرج على يديه طائفة من العلماء البارزين. وهو لا يزال يكتب إلى الآن، علماً بأنه مولود في بلدة بشمزين في الكورة (لبنان) سنة ١٨٩٧.

■ لقد اعترف الغرب بفضل العرب هذا، وقدروا الدراسات العربية واركانها، فوضعوا على خريطة حديثة للقمر عام ١٩٧١ أسماء كبار العلماء الفلكيين والرياضيين العرب: نصير الدين الطوسي، وابو الحسين السوقي، وابن عزرا، وجابر، وارزاخل، والمأمون، وابو الفدا والتياني والفرغاني، والخازن، واولوغ بيك (لاعتماده على الفلكيين العرب في ازياجه الشهيرة).

ولا بد لنا من الرجوع الى الدافع الكبير نحو هذا التفوق والاندفاع في سبيل العلم. الا وهو القرآن الكريم. ومن الثابت ان القرآن الكريم هو كتاب عقائد وعبادات واخلاق ومعاملات، وتفقيه وتشريع، وهو بجوار ذلك كتاب علم ومعرفة على أساس انه كتاب يدعو الى العلوم فيقول: «وقل ربي زدني علما». «وما اوتيتم من العلم الا قليلا». «وانما يخشى الله من عباده العلماء» والمراد هنا بالعلماء انما هم العلماء المؤمنون الناظرون في ملكوت السموات والارض، الذين يستنبطون ويتعرفون الى اسرار الطبيعة وحقائق الاشياء وسنة الكون التي تتحدث عن قدرة الله وابداعه في خلق الانسان والحيوان والنبات وكل ما دب على الارض. «ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» أي ان الله جل جلاله يسبغ نعم التكريم على هؤلاء العلماء الخاشعين المؤمنين. وهناك آيات كثيرة تشير الى أهمية طلب العلم والسعي وراء المزيد منه. ولا بد هنا من الاشارة الى ما توصّل اليه العلماء في علم الذرة، واكدوا أن الشمس تمدّنا بالطاقة منذ ٥٠٠٠ مليون سنة، وذلك بفضل كونها مرجلاً نووياً، يتحوّل فيه ٤,٧٠٠,٠٠٠ طن من المادة الى طاقة كل ثانية.

كذلك تجدر الاشارة الى ان العالم حسن كامل الصبّاح من النبطية هو اول من حقّق تحويل الطاقة الشمسية الى كهربائية عن طريق خلايا من مواد معينة. وقد أصبح هذا أمرا معمولاً به في المركبات الفضائية.

الخلفاء يقومون باحياء العلوم

على ضوء ما تقدّم نرى انه في القرن الثاني للهجرة الموافق الثامن الميلادي، شرع عبد الله بن محمد علي بن عبد الله العباسي ابو جعفر المنصور الخليفة الثاني العباسي باحياء العلوم الرياضية والفلكية، باستخدام علماء مترجمين ترجموا كتبا يونانية وسريانية وهندية الى العربية واقتدى به خلفاؤه، لا سيما هرون الرشيد وابنه المأمون، ومن ثم اخذ علم الهيئة اي الفلك يتقدم بين العرب وسائر الطوائف الشرقية.

وفي عام ٨٢٣ ميلادي انتصر الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣) على الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني، فوضع في شروط معاهدة السلام ما يأتي: على الامبراطور البيزنطي ان يجهز المأمون بالمخطوطات اليونانية أو ان يسمح له ان يعمل نسخا عنها. فقام عدد من العلماء السوريين بترجمة هذه المخطوطات أولا الى السريانية ومن ثم الى العربية. ويقال إن المأمون شارك في بعض هذه الترجمات وقد ترجم المجسطي لبطليموس الى العربية في عام ٨٢٩ ميلادي، وتوجد هذه المخطوطة اليوم في مكتبة جامعة لايدن في لندن.

وقد فاق المأمون الجميع بغيرته على العلوم واهلها. ومن جملة أعماله أنه أمر بني موسى بن شاكر وهم ثلاثة أخوة، أن يقوموا بقياس دورة كرة الارض التي كان الاقدمون قد اقدموا على قياسها فوجدوا انها ٢٤ ألف ميل. فعمل الثلاثة الاخوة على الطريقة التي



— الفلكيون العرب كما تخيلهم أبناء الغرب ، في كتاب ظهر في البندقية (ايطاليا) في القرن السادس عشر. ويبدو في الصورة بعض ما كان يستعمله الفلكيون العرب من أجهزة للرصد.

ذكرها الاقدمون للتأكد من ذلك ، وخرجوا الى صحراء سنجار وكانت في غاية الاستواء واجروا التجربة (لا مجال لذكرها) ، فوجدوا ان ذلك كان موافقا لما جاء في الكتب القديمة. وطلب المأمون التحقيق من ذلك في موضع آخر فسيرهم الى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان. وفي أيامهم قيس ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء ، فكان ٢٣°و٣٥'. وهذا قريب جدا لما هو معروف اليوم ، أي ٢٣°و٢٧'.

أما ميل دائرة البروج فهو المسؤول عن الفصول المختلفة على مدار السنة ، والذي يجعل الاقسام المختلفة من الارض تتعرّض لحرارة الشمس بصورة متفاوته من يوم الى آخر ، ومن هنا كان اختلاف الليل والنهار على طول السنة. فيكون اقصر نهار في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) واطول نهار في ٢٢ حزيران (يونيو) كما هو معروف ويتساوى الليل والنهار في ٢١ آذار (مارس) و٢٣ ايلول (سبتمبر).

الفلكيون العرب يقتحمون عالم النجوم

ولما كان الناس على دين ملوكهم ، نجد أنه في ذلك العصر عاش التياني الحاسب المنجم المشهور ، وهو صاحب الزيج الصابي وله الأرصاد ، المتقنة. فاثبت الكواكب الثابتة في زيجة لسنة ٢٩٩ هجرية. ومن أعماله البارزة الزيج الذي تقدم ذكره ، وكتاب معرفة مطالع البروج ، وأصلح قيمة مبادرة الاعتدالين ، وقيمة ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء. وهو اول من استخدم الجيوب والاوتار في قياس المثلثات والزوايا علاوة على هذا توصّل الى معرفة انتقال نقطة الرأس ونقطة الذنب ، وهذه الحقيقة يعبر عنها بان الخط الموصل بين نقطة الرأس والذنب له حركة سنوية من الغرب الى الشرق ويدور

دورانا كاملا في ١١١،١٤٩ سنة.

أما مبادرة الاعتدالين فإنها ناتجة عن دوران قطب خط الاستواء حول قطب دائرة البروج في نحو ٢٥٨١٧ سنة. لذلك لم يكن نجم القطب في قديم الزمان في المركز نفسه الذي هو فيه اليوم، إذ انه ينتقل من الشرق نحو الغرب دورة كاملة كل ٢٥٨١٧ سنة. لذلك فان أسماء البروج اليوم لا توافق الصور المسماة بتلك الأسماء بل انتقلت الى غربي صورها بمعدل نحو ٥٠ ثانية وعشري الثانية في السنة وهذا يثبت لنا عدم صحة معرفة الحظ بالتنجيم الشيء الذي يؤمن به كثيرون وعلى الاخص من يجمع ثروة من وراء ذلك. «كذب المنجمون ولو صدقوا».

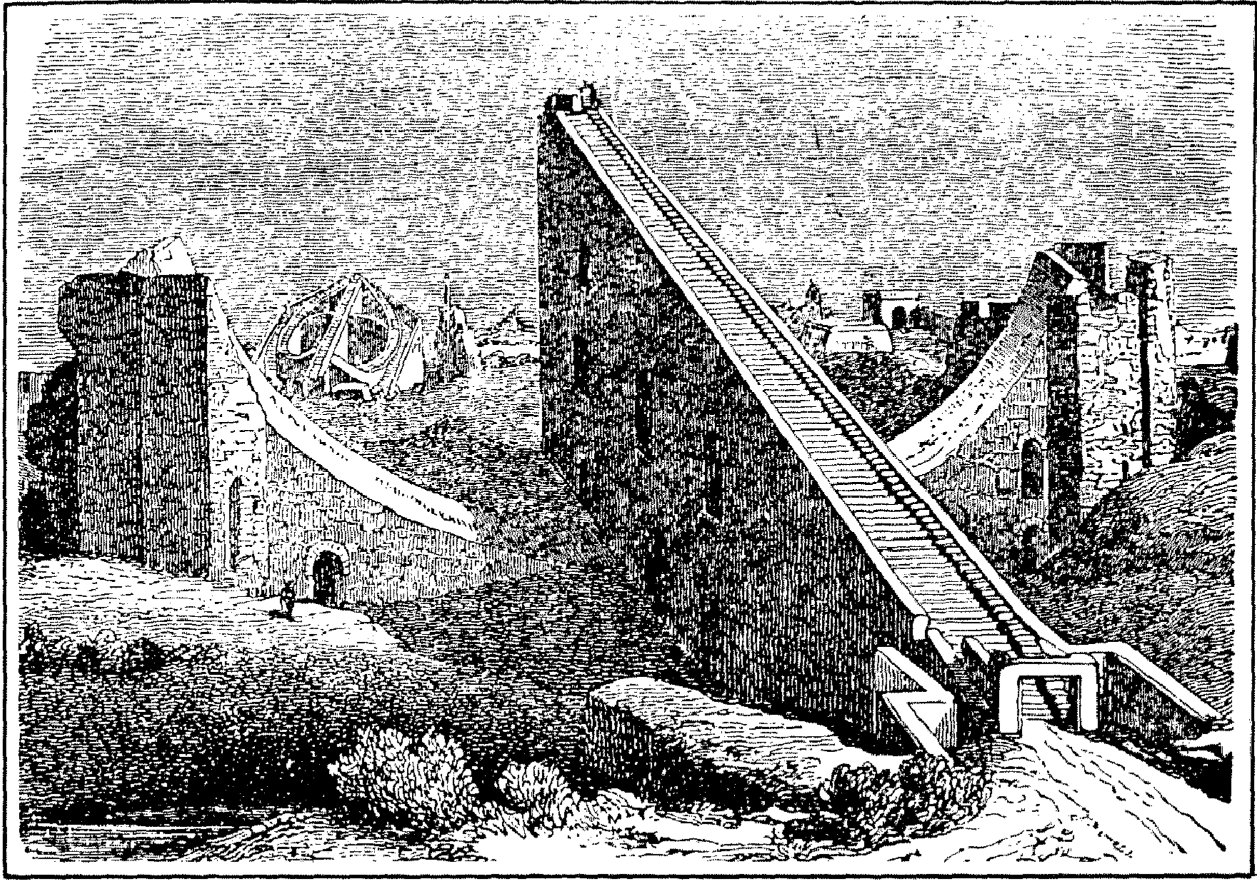
ومن مشاهير علماء الفلك في ذلك العصر أيضاً ابو الوفا البوزجاني، ويقال انه اكتشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر، كما انه صنع زيجا سماه الزيج الشامل. ولم يظهر فضل هذا الفلكي العظيم الا في القرن الماضي، حينما عثر المستشرق الافرنسي «سيديو» على مخطوطات اثبتت ان بعض الاكتشافات الفلكية التي نسبها المؤرخون الى علماء القرن السادس عشر قد سبق واكتشفها البوزجاني قبلهم بستة قرون. وقال غوستاف لبون ان آلات الرصد التي اعتمد عليها البوزجاني، كانت على جانب عظيم من الدقة، فانه رصد الميول بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدما، وذلك ما لا يسهل على الفلكيين في يومنا هذا.

ويعتقد العلامة المستشرق «نلينو» ان اعظم المبتكرين الضالعين في علم الفلك بين علماء العرب، هو ابو الريحان البيروني، وله كتاب نفيس جامع شامل ودقيق المباحث. وقد ذهب الى القول انه يمكن ايضاح وتوليد حركة الاجرام السماوية الظاهرة اذا فرضنا ان الأرض تدور على محورها دورة كاملة من الغرب الى الشرق كل نحو ٢٤ ساعة، اي عكس حركة النجوم الظاهرة من الشرق الى الغرب، وهو من مواليد احدى ضواحي عاصمة الدولة الخوارزمية وتعرف باسمها الجديد «البيروني» تخليدا لذكراه.

ومن المشاهير ايضاً أبو الحسن علي ابن ابي سعيد بن يونس الذي عاصر «الحاكم» سادس الخلفاء الفاطميين، وهو صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس. وقد الفه في المرصد الذي شيده الخلفاء الفاطميون في جبل المقطم، وهو الذي اخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة ورصد كسوف الشمس وخسوف القمر واثبت عنهما تزايد حركة القمر، وحسب ميل دائرة البروج، فجاء حسابه اقرب ما عرف الى ان اكتشفت آلات الرصد الحديثة.

وفي الاندلس بدأت النهضة العلمية الفلكية في منتصف القرن العاشر للميلاد. وانتشرت من دور العلم والجامعات العربية أنوار العلوم على اختلافها. ومن اشهر الذين اشتغلوا بعلم الفلك والطبيعيات في الاندلس. ابو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن الاندلسي، وقد عاش في أواخر القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر، والف مؤلفات شهيرة في قواعد النور بآلات الرصد.

وقد اثبت المدققون ان الخازن هذا هو مكتشف قانون انكسار اشعة الضوء عند انتقالها من وسط الى آخر، وهذا الامر يبدو عندما نضع عصا في الماء فتظهر ملتوية. وكان قد نسب ذلك الى عالم اوروبي قبل معرفة الحقيقة. وقد قال الخازن ان الضوء يتألف من حبيبات أي انه ذري التركيب، وقد اثبت نيوتن ذلك بعد نحو ٥ قرون. وقد ورد في موسوعة اميركية ان الخازن هو مكتشف آلة



– أحد المراصد العربية القديمة.

التصوير ذات الثقب وكان يستعملها لمشاهدة كسوف الشمس.

وقد عاش الفيلسوف المشهور ابن رشد في القرن الثالث عشر، وكانت له مكانة عالية في الفلسفة والعلوم الرياضية والفلكية، وهو اول من شاهد كلف الشمس وكتب عنها. تمكن أيضاً بواسطة الحساب الفلكي ان يعيّن وقت عبور الكوكب عطارد على قرص الشمس، فرصده وشاهد بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين، الامر الذي لا يتصدى له في وقتنا الحاضر سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية.

في القرن الثاني عشر بني في مدينة اشبيليه في الاندلس، برج جميل البناء شامخ، لرصد الاجرام السماوية تحت اشراف جابر الرياضي. ولما ترك العرب تلك البلاد، حوّل الباباويون ذلك البرج قبة للاجراس، وهو باق الى يومنا هذا، يشهد بفضل بانيه وبمقدرته الفلكية.

وفي عام ١٢٥٨ ميلادية سقطت بغداد في أيدي هولاكوخان، حفيد الفاتح جنكيز خان. كان هولاكو قبل هذا قد قرب اليه كمستشار سياسي، الفلكي محمد بن حسن الطوسي الملقب بنصير الدين، فبنى مرصدا في المراغه بالقسم الشمالي الغربي من بلاد فارس، وعهد بادارته الى محمد المذكور. وانشأ في

ذلك المرصد خزانة كبيرة فسيحة الارجاء، ملأها بالكتب التي نهبت من الشام وبغداد والجزيرة، فتجمع فيها أكثر من اربعمائة ألف مجلد. كان يعمل في ذلك المرصد عدد كبير من فلكيي العرب، يستعينون بآلات تفوق باتقانها وحجمها ما كان معروفا في اوروبا في ايام كوبرنيكوس. وألف الطوسي كتبا هامة في الرياضيات والفلك، اشهرها كتاب الاصول لأقليدس والزيج الخاني. ولم يكن هذا الزيج سوى نسخة منقّحة لجداول فلكية، قوامها الجداول التي نظمها ابن يونس وقد عرفت بالزيج الحاكمي. وللطوسي مؤلف في الكرة والاسطرلاب، وتسطيح الكرة والمطالع، ومؤلفات اخرى.

بعد ذلك بنحو قرنين، أي في عام ١٤٢٠، بنى السلطان اولغ بيك حفيد تيمورلنك، مرصدا فخما في سمرقند (من أعمال تركستان السوفياتية حاليا) دعا اليه اشهر علماء الفلك وترأس الرصد بنفسه سنين طويلة. وعكف على تنقيح جداول الذين سبقوه، وأصلحها على ضوء نتائج الأرصاد الدقيقة التي أجراها بالتعاون مع غيره من الفلكيين. وقد طبعت هذه الجداول في مدينة اكسفورد عام ١٦٦٥ وهي باقية الى يومنا هذا.

كان على فلكيي العرب ان يصنعوا آلات جديدة دقيقة، تساعدهم في ارصادهم، نذكر منها الساعة الرملية واللثة والحلقة والاعتدالية وذات الحلق اللبنة وذات الشعبتين وذات الجيب وربع الدائرة والاسطرلاب. وقد عرف الاسطرلاب عند الاقدمين، لكن العرب توسعوا في صنعه واتقنوه فكان بمثابة جهاز لرصد الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة، كما هي الحال في المرقب اليوم. ولا تزال صناعة الاسطرلاب قائمة في ايران، حيث يوجد لا اقل من عشرة اشخاص يعملون في حفر هذا الجهاز على صفائح من النحاس. وقد بيع في اوائل آذار (مارس) ١٩٦٢ بالمزاد العلني، اسطرلاب اشترته ادارة متحف العلوم في جامعة اكسفورد في انكلترا، بقيمة ٣٦٠٠ جنيه استرليني، وهو من مخلفات الحضارة العربية القديمة، كما يشير الى مهارة وحذق العمال في صنع الادوات العلمية في تلك العهود. وتحوى المتاحف العلمية عددا من كرات سموية تحمل اسماء عربية للنجوم والابراج منها كرة في متحف درسن في المانيا حروفها كوفية.

نستخلص من الدراسات التي قام بها المستشرقون وغيرهم، ان للعرب فضلا كبيرا في نقل ما كتب في علم الفلك لدى الشعوب القديمة، وتنقيحها وتوحيدها وجعلها علما واحدا تاما قائما بنفسه، وطبعه بطابع الثقافة العربية. كما انهم زادوا وابتكروا امورا كثيرة هامة. فهم اول من اكتشف حركة الشمس في الاوج، وعينوا مبادرة الاعتدالين بدقة فائقة، واكتشفوا النقص المتواصل في انحراف سمت الشمس، والاضطرابات التي تحدث للقمر وهو في عرضه الاقصى. علاوة على هذا بينوا اضطرابات السيارات في أفلاكها، وساروا شوطا طويلاً في حساب الاختلاف الثالث في حركة القمر. وشاهدوا الكلف على سطح الشمس، وحسبوا بالضبط عبور عطارد على سطحها واصلحوا قيمة مبادرة الاعتدالين ومقدار ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء، وما يحدث فيها من نقص تدريجي بطيء. ومن أرصاد دقيقة عينوا طول السنة الاعتيادية والسنة النجمية، وقاسوا مباشرة طول درجة من خط المهاجرة بطريقة علمية. وانشأوا عدة مراصد على غاية الاتقان، وصححوا جداول حركات القمر. وعرفوا



– الاسطرلاب ، أهم أدوات
علم الفلك في القديم .

استدارة الارض وقال بعضهم بدوران الارض على محورها ، وامتازوا على من سبقهم فجعلوا علم الفلك استقرائيا عمليا ، وحسنوا آلات الرصد القديمة وزادوا عليها ، وعرفوا الساعات الدقاقة ذات الرقاص .

وفي اوائل القرن الثالث عشر تأسست عدة جامعات في اوروبا . حيث عكف المترجمون على نقل الكتب العربية الى اللغات الاوروبية . منها جامعة نابولي في أيام فريدريك الثاني (عام ١٢٢٤) ، وجامعة طليطلة وغيرها . ترجموا الازياج العربية في علم الفلك وبنوا عليها ازياجا جديدة . وفي عام ١٢٥٢ نشر وطبع الزيج الذي اشرف عليه الفونس العاشر وكان ذلك يوم تسلمه الحكم . لم يأتوا بجديد في علم الفلك . بل جربوا ان يعمموا ما حمل اليهم من معلومات . وبقي علم الفلك كما تركه العرب ، الى ان اكتشف غليليو المرقب عام ١٦١٠ . فبدأ عهد جديد .

ولا تزال اسماء النجوم التي ترجع الى أصل عربي ، كذلك بعض العبارات الفلكية ، برهانا ساطعا على الطابع العربي في علم الفلك . مثل النسر الواقع . النسر الطائر ، Al-trir الشعرى ، Sirrur الغول ، Al-gol نظير ، Nader ، سمت Zenith وغيرها وتعد بالمئات . ولا بد من الاشارة الى ان علماء الغرب عامة . قد اهتموا بالتفتيش عن تراث العرب في علم الفلك وغيره من العلوم . وارجعوا الى فلكي العرب قسطا كبيرا مما كان قد نسب الى غيرهم . بقي علينا نحن العرب ان نفتش عن ذلك التراث ونحميه من الضياع في زوايا الركود والاهمال . ■

موجز لمحاضرة القيت في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت .

الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣

ميثاق مكتوب!

حسان حلاق

— تعتبر قضية الميثاق الوطني الذي انبثق عام ١٩٤٣ قضية هامة وشائكة لا سيما وانها أصبحت تثار عند حدوث أية أزمة لبنانية سواء في عهد الرئيس بشارة الخوري ١٩٤٣ — ١٩٥٢، أو العهود التي تلته، (عهد الرؤساء كميل شمعون، فؤاد شهاب، شارل حلو وسليمان فرنجية) ولا تزال قضية الميثاق تثار حتى اليوم في عهد الرئيس الياس سركيس. بل يكاد يكون الميثاق حديثاً يومياً لبعض الزعامات اللبنانية. وحرصاً منا على المساهمة في حل هذه القضية، كان لا بد من إلقاء الضوء على خفايا ومظاهر الميثاق، وقد درسنا هذا الموضوع دراسة وافية بل من وجهة نظر جديدة لم يتطرق إليها أي باحث من قبل.

— حسان حلاق: محاضر في قسم التاريخ، كلية الآداب — جامعة بيروت العربية.

من مؤلفاته في التاريخ المعاصر:

موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩.
الاتجاهات السياسية — الطائفية في لبنان ١٩١٨-١٩٤٣.
العلاقات الأوروبية — العثمانية.

من مؤلفاته في التاريخ العربي والاسلامي:
تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
الادارة المحلية الاسلامية.

■ في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ وبعد اعلان نتائج انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، كان لا بد من تكليف رياض الصلح بتشكيل الوزارة الأولى، لأن وجوده في الحكم يدعم موقف بشارة الخوري السياسي لبنانياً وعربياً. وقد أكد بشارة الخوري في مذكراته هذه الحقيقة بقوله: «وكنت قد صممت في نفسي على أن أوليها رجلاً له مكانته في لبنان ولدى الدول العربية، ووهبه الله ذكاء نيراً واقداماً نادراً، عنيت به رياض الصلح».[1] وكانت سياسة بشارة الخوري منذ البداية تقوم على ان لبنان مهما كانت له «صبغة نصرانية» فهو بلاد اسلامية أيضاً. وعدد المسلمين فيه يوازي عدد النصارى. وانه يجب أن يكون للمسلمين حساب كبير، وعلى الزعيم السياسي المسيحي ان يذكر هذه الحقيقة لنفسه وللمسلمين أيضاً [2].

هذا واثر انتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية اعتلى المنبر وألقى خطاباً مكتوباً ركز فيه على تعاون لبنان مع البلاد العربية وخروجه من عزلته. وهو «الذي يجب أن يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً أميناً وأخاً صادقاً تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص...» ولم يشر في خطابه إلى توزيع الرئاسات الثلاث طائفياً. وفيما يختص بما عرف باسم «الميثاق الوطني» يذكر لنا يوسف يزبك - أحد المؤرخين اللبنانيين - ان حواراً تم بين بشارة الخوري ورياض الصلح في اجتماع حصل قبل ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣. ومما قاله بشارة الخوري لرياض الصلح:

«أنا أعلم أنك تجاهد في صفوف القوميين العرب منذ حوالي ثلاثين عاماً بغية إقامة دولة عربية كبيرة وأعلم أيضاً انك تؤمن بلبنان ورسالته العربية. وانك مقتنع بأنه بوسع لبنان أن يكون أمة عربية مستقلة حيث يجد المسيحيون كل الضمانات التي يصبون اليها. واعلم انه بوسعك وصحبك ان تساعدنا على كتابة صفحة جديدة من تاريخنا تنسينا الماضي الذي بناه الأجنبي وأيده وحده. ما رأيك باتفاق حول الخطوط الكبرى التي تؤلب اللبنانيين جميعاً حولها وتشجع النهضة العربية التي ترغب في نجاحها»؟

فأجاب رياض الصلح:

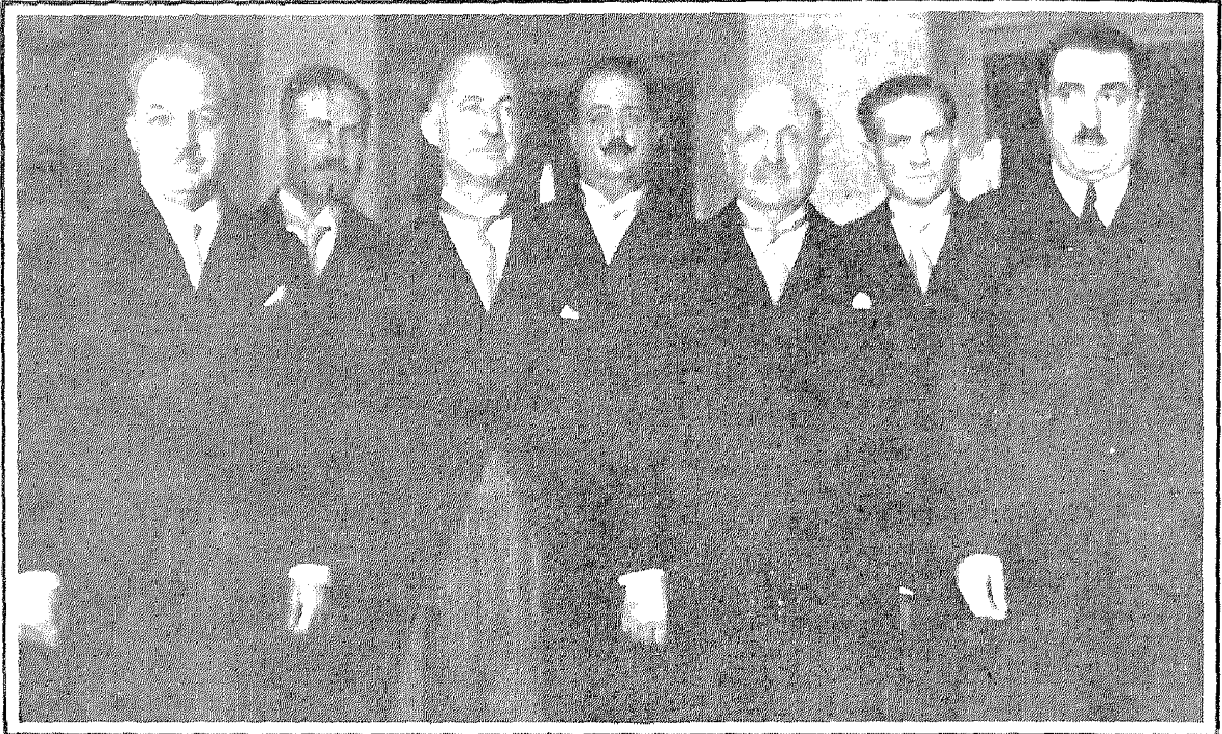
«ان ماضي يبرهن ان ما فعلته في سبيل القضية العربية فعلته أيضاً في مصلحة لبنان. وتعلم أيضاً ان بعضاً من «اخواني السلبيين» انتقدوا مواقفي واتهموني بأني أصبحت لبنانياً. وكنت اجيبهم ان من يناضل من أجل حرية لبنان يناضل أيضاً من أجل حرية العالم العربي كله، ومن يناضل من أجل القضية العربية يناضل من أجل القضية اللبنانية. وفي خطبة لي صرحت فيما صرحت بأنني أفضل أن أعيش مستقلاً استقلالاً تاماً في قرية كفر ذبيان - احدى قرى كسروان - على أن أعيش في دولة عربية واسعة مرتبطة بمعاهدات يحكمها مستشارون أجانب. وأنا لم أبدل سياستي، واني مسرور بأن أسمع من فم زعيم مسيحي كبير، انه بوسع لبنان أن يكون أمة عربية وها إني ماد لك يدي ومستعد لأن أصغي إليك...».

قال بشارة الخوري:

«أتعتقد أن جميع اخواننا المسلمين يتبنون اتفاقنا؟ أتعتقد انهم سيقبلون بلبنان كوطن نهائي لهم وليس كمرحلة؟ أتعتقد ان أملهم الأكبر لن يكون سوريا أو العرب»؟

فأجاب رياض الصلح:

«... اني كفيل ليس فقط بالحصول على قبول المسلمين بل أيضاً باقناع الزعماء



— من اليمين : صبري حمادة، كميل شمعون، بشارة الخوري، مجيد ارسلان، رئيس الوزراء السوري سعد الله الجابري (الذي جاء مهنئاً بعد انتهاء الاعتقال في راشيا)، عادل عسيران ورياض الصلح: سورية ولبنان بلدان.

السوريين والعرب بالاعتراف باستقلال لبنان وضمان حدوده الحالية..»[٣].

والحقيقة انه لا يوجد اثبات أو دعم وثائقي يؤكد كل ما ذكره يوسف يزبك وذلك للأسباب التالية:

١ - ان يوسف يزبك نشر هذا الحوار في آب (أغسطس) عام ١٩٥٨، أبّان حركة ١٩٥٨، وذلك لاعطاء صيغة ١٩٤٣ صفة قانونية بقبول بشارة الخوري ورياض الصلح بها.

٢ - ان يوسف يزبك نشر هــذا الحوار، ورياض الصلح كان قد توفي.

٣ - ان بشارة الخوري نفسه لم يشر في مذكراته «حقائق لبنانية» التي نشرها عامي ١٩٦٠ - ١٩٦١ إلى هذا الشكل من الحوار بينه وبين رياض الصلح.

أما فيما يختص بمضمون الميثاق الوطني، فان بشارة الخوري يؤكده نفسه بقوله: «وما الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة: استقلال لبنان التام الناجز دون الالتجاء إلى حماية من الغرب ولا إلى وحدة أو اتحاد مع الشرق»[٤] وهذا تأكيد من رئيس الجمهورية واحد ركني الميثاق الوطني، على أن الميثاق ليس توزع الرئاسات الثلاث طائفياً، وانما اتفاق على امتزاج النزعات السياسية اللبنانية. كما يلاحظ من دراسة خطب بشارة الخوري، انه لم يشر فيها ضمن احاديثه عن الميثاق، سوى إلى انه اتفاق على استقلال لبنان ووحدة شعبه وعدم انعزاله عن البلدان العربية.

والحقيقة ان بشارة الخوري لم يشر مطلقاً إلى توزع الرئاسات الثلاث على أساس طائفي. كما ان رياض الصلح لم يشر مطلقاً في بيانه الوزاري المكتوب إلى هذا الموضوع. بل على العكس فقد تضمن بيانه الوزاري برنامجاً بالغاء الطائفية والقضاء على مساوئها «فان هذه



– المفتي محمد خالد عندما زاره رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وحبيب أبو شهلا في عيد المولد النبوي الشريف كان حديث الميثاق خامسهم.

القاعدة تفيد التقدم الوطني من جهة وسمعة لبنان من جهة أخرى، فضلاً عن انها [الطائفية] تسمم روح العلاقات بين الجماعات الروحية المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني.. ان الساعة التي يمكن فيها الغاء الطائفية هي ساعة يقظة وطنية شاملة مباركة في تاريخ لبنان...».

ويؤكد جمهرة المؤرخين والسياسيين اللبنانيين ان الميثاق الوطني انما هو استقي من خطاب بشارة الخوري في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣. ومن البيان الوزاري الذي ألقاه رياض الصلح في ٧ تشرين الأول (اكتوبر). وطالما ان الخطاب والبيان لم يفصحا عن توزيع الرئاسات الثلاث طائفياً، وطالما ان الخطاب والبيان مكتوبان، فان الميثاق يعتبر مكتوباً. اما فيما يختص بتوزيع الرئاسات الثلاث. فقد تم الاتفاق بين بشارة الخوري ورياض الصلح في جلسة خاصة ان يكون توزيعها طائفياً بشكل مؤقت، ثم يتبع ذلك تعديلات بل والعمل على إلغاء الطائفية، كما جاء في البيان الوزاري. كما تم الاتفاق على أن تكون الرئاسة الأولى مداورة بين المسيحيين والمسلمين، ولا مانع لدى المسلمين من أن يتبوأ الموارنة الرئاسة فترة تسمح لهم بالاطمئنان قد تمتد فترتين أي لمدة ١٢ عاماً، وهي حقبة كافية للتأكد من ان لبنان سيبقى مستقلاً ولن يلتحق بأي اتحاد عربي، بل انها فترة كافية لالغاء الطائفية. ولذا رأينا ان رياض الصلح لم يمانع مطلقاً في دعم بشارة الخوري لتجديد رئاسته مرة ثانية. والجدير بالذكر ان الرئيس عبد الله اليافي تقدم باقتراح في ٦ تشرين الأول (أكتوبر) – أي قبل يوم واحد من جلسة الثقة – إلى المجلس النيابي طالب فيه بالغاء الطائفية من لبنان ومن مواد الدستور اللبناني[٦]. والواقع ان بشارة الخوري نفسه أكد ان صيغة الميثاق الوطني هي تسوية مؤقتة ريثما «نجد صيغة تعايش وتفاهم ووئام أفضل».

ويذكر الدكتور باسم الجسر في صدد الحديث عن الميثاق الوطني، انه طالما لا يوجد نص مكتوب بين أيدينا نعتمده، فما علينا إلا



— الرئيس وقرينته في زيارة الديمان، وبدا بين بشارة الخوري والبطريرك عريضة، مارون كنعان.

أن نلجأ إلى ثلاثة أنواع من المراجع: خطب الشيخ بشارة الخوري وخطب رياض الصلح، وشهادات السياسيين والمسؤولين، وثالثاً، المقالات والدراسات التي وضعها سياسيون ومفكرون...[7].

ومن هنا لا بد لي من أن أؤكد خلافاً لكل ما قيل وكتب، ان الميثاق الوطني هو ميثاق مكتوب، وليس ميثاقاً شفهياً، ذلك انه طالما استقيت بنوده من خطاب بشارة الخوري وبيان رياض الصلح، وهما خطابان مكتوبان، فاننا لا نستطيع الا ان نؤكد ان الميثاق مكتوب. لأن القول بأنه غير مكتوب يؤدي إلى نسج الكثير من الأباطيل حوله والادعاءات التي لا أساس لها من الصحة، كأن يقال: هكذا أراد بشارة الخوري يومذاك، أو هكذا قال رياض الصلح،... بينما يؤكد بشارة الخوري انه تم تحديد جوهر الميثاق: في خطاب قسم اليمين الدستورية، وفي بيان حكومة رياض الصلح الأولى، وفي خطب ألقاها في مناسبات عديدة.

والحقيقة ان الرئيس بشارة الخوري أكد عام ١٩٤٤ مجدداً مضمون الميثاق. فقد قال: «هذا الميثاق... هو: استقلال صحيح، وسيادة قومية، ومحافظة على دستور البلاد، لا انتقاص فيها ولا هوادة، ومودة خالصة، وتعاون وثيق بين الأقطار العربية ولبنان لمصلحة الجميع وعلى قدم المساواة وبروح العدل والانصاف»[8] ثم يعود ليؤكد عام ١٩٤٦ وللمرة الأولى «التوقيع» على الميثاق الوطني الذي يتضمن الاستقلال اللبناني «الذي يحترمه جيراننا العرب الذين وضعنا يدنا بيدهم مختارين. ومع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا».

ويورد الشيخ بشارة الخوري أهداف الميثاق فيذكر أنها:

١ – استقلال تام وناجز عن الدول العربية، كل الدول العربية.

٢ – استقلال تام وناجز عن الدول الشرقية، كل الدول الشرقية.



– الجنرال سبيرز، وبدأ حوله من اليمين صبري حمادة وبشارة الخوري ورياض الصلح، رؤساء المجلس النيابي والجمهورية والحكومة آنذاك

٣ – لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ولا مركز ممتازاً لمصلحة أي من الدول.

٤ – التعاون إلى أقصى حدود مع الدول العربية الشقيقة.

٥ – الصداقة مع كل الدول الأجنبية التي تعترف باستقلالنا الكامل وتحترمه.

ويضاف إلى ذلك قول رياض الصلح بأن «لبنان بلد مستقل ذو وجه عربي».

وأخيراً لا يسعني الا أن أؤكد، بل من الأهمية ان أذكر، انه لو كان هناك اتفاق سياسي نهائي حول تكريس طائفية الرئاسات الثلاث لكان أولى بالرئيس بشارة الخوري أن يذكر ذلك ولو مرة واحدة في خطبه خلال ٩ أعوام (١٩٤٣–١٩٥٢) من حكمه، بل أكثر من ذلك، ما كان تردد لحظة واحدة في ذكرها في مذكراته: «حقائق لبنانية»، وخاصة وانه نشرها عامي ١٩٦٠ – ١٩٦١، يوم كان رياض الصلح غائباً عن المسرح السياسي، ويوم كان اللبنانيون مستعدين لأن يصدقوا ما يقوله لهم واحد من أركان الميثاق الوطني. ■

مصادر البحث

١ – بشارة الخوري: حقائق لبنانية. جـ٢، ص ١٧.

٢ – تذكارات اسكندر الرياشي: قبل وبعد ١٩١٨–١٩٤١، ص ٢٢٦.

٣ – يوسف يزبك: من مقال نشره في مجلة Magazine، بيروت، ١٤ آب (أغسطس) ١٩٥٨.

٤ – بشارة الخوري. المصدر السابق. جـ٢ ص ٢١.

٥ – انظر: د. نقولا زيادة: مجموعة وثائق دبلوماسية وسياسية، لبنان ١٩٤١، ص ٩١–٩٢.

٦ – النهار. ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣، العدد ٢٧٧٢.

٧ – د. باسم الجسر: ميثاق ١٩٤٣. لماذا كان. وهل سقط؟، ص ١٣٢.

٨ – بشارة الخوري. المصدر السابق. جـ٢. ص ٢٩٠.

الجغرافيا عند العرب

في القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد

وجيه عضاضة

■ ان التراث الجغرافي الذي تركه العرب في العصور الوسطى يدعو الى الفخر ولن نستطيع بطبيعة الحال أن نكشف عن كل ما كان في المكتبة الجغرافية العربية من مؤلفات ولا حتّى عمّا وصلنا منها وهو قليل إذا ما قُورن بالذي ضاع.

لذلك فسيكون الحديث عن المكتبة الجغرافية العربية غير شامل بالضرورة. ونظراً لتعدّد الجغرافيين والمؤرخين والفلكيين العرب في تلك الحقبة من الزمن ونظراً الى إمتدادها الطويل من مطلع القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) حتى القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، فسوف تكون ابحاثنا في كل عدد مقتصرة على عصر واحد فقط، وذلك تسهيلاً للقارئ العربي كي يأخذ فكرةً واضحةً وشاملةً عما يجمعه كل عصر من مؤلفات عربية قيمة. وقبل الحديث عن الموضوع المشار اليه لا بد في مستهل بحثنا أن نأخذ فكرةً تاريخية عن تطور المعرفة الجغرافية في ديار العرب.

تطوّرت المعرفة الجغرافية عند العرب منذ العصر الجاهلي فالعرب عرفوا الكثير عن مناطقهم آنذاك وأعطونا موسوعة تشمل طبيعة بلادهم ونباتاتها وحيواناتها ومسالكها ومواقع الماء فيها الى جانب معتقداتهم الدينية الخاصة في الخَلق والخَليقة والعالم مستندين في معلوماتهم الى ما جاء في التوارة، وما تسرَّب اليهم من آراء الاغريق والرومان والفرس والهنود في الجغرافية والفلك.

هذه المعرفة سببها الاهتمام بالتجارة البرِّية والبحرية التي كان العرب يمارسونها بكثرة: فسفنهم كانت تنتقل بين سواحل الجزيرة العربية والهند، وقوافلهم كانت تربط مكّة ويثرب باليمنين وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.

هذه المعرفة كانت ولا شك لاتستند الى أُسُس علمية، بل كانت معرفة بدائية غير مُدَّونة. وقد ظلَّت فترة طويلة على حالها الى أن ظهر الدين الاسلامي وحوَّل شبه جزيرة العرب الى منبر للعلم والجهاد، فبدأت رقعة الدولة العربية تتّسع لتشمل تخوم الصين ووادي السند شرقاً الى الاندلس وجبال البرانس[1] غرباً.

وكان لقيام بغداد سنة ٧٦٢ ميلادية وانتقال مركز الخلافة العباسية من دمشق اليها، الأثر العظيم في قيام عملية الترجمة من اليونانية الى العربية على يد جماعة من اليهود والمسيحيين النساطرة، فترجموا مؤلفات أرسطو وأفلاطون وبطليموس وغيرهم الى العربية واستفاد العرب منها قليلاً. الا ان الفائدة الكبرى تمثلت في علم الفلك ورصد النجوم. ويرجع سبب ذلك الى جهل العرب باللغات الاجنبية في ذلك الوقت وعندما بدأ القرن الثالث للهجرة وبتولي المأمون الخلافة، إنطلقت المعرفة الجغرافية عند العرب إنطلاقة سريعة ورائعة وبرعاية المأمون نفسه الذي شجع أهل العلم على إعادة ترجمة ما قدَّمه الاغريق والرومان من مؤلَّفات. ولهذه الغاية أنشأ المأمون

مرصدين مُزودين بالاجهزة والكتب اللازمة، أحدهما في بغداد والآخر في دمشق. وقد ذكر المسعودي في مؤلفاته أن رجال المأمون إستطاعوا الحصول على خريطة للعالم مُسجَّل عليها خطوط الطول ودوائر العرض والموقع الفلكي لكل مكان معروف على سطح الأرض. وقد أمر المأمون برسم مُصور ملون يوضح أقاليم العالم المختلفة وبروج السماء. ويقول المسعودي أنه رأى هذه الخريطة في الكتب وقد ظهرت عليها القبة السماوية وما بها من نجوم والماء واليابس والمعمور واللامعمور، والأقاليم وما بها من مدن وما يسكنها من شعوب.

وهكذا استفاد العرب بدافع الدين وبتشجيع من المأمون من المؤلفات التي سبقت عهدهم وقد أضافوا اليها آراءهم واجتهاداتهم الشخصية بما يتفق مع الإسلام. وهكذا إنطلقت المعرفة الجغرافية عند العرب حتى شملت موضوعات وأقاليم لم يعرفها لا الاغريق ولا الرومان الا إسماً.

وربما يتساءل المرء عن الاسباب التي أدَّت الى ازدهار المعرفة الجغرافية عند العرب بعد إعتناقهم الاسلام. ولعل أبرز هذه العوامل هي:

أولاً: زيارة مهبط الوحي، مما شجع على المعرفة الجغرافية لمعرفة أفضل الطرق للوصول الى مكة بعد أن كان الحجاج في الماضي يُعانون من صعوبات السفر.

ثانيا: الشعور الأخوي الاسلامي بين أنحاء الدولة الاسلامية لدى الرَّحالة وطالبي العلم والحج والتجارة، فكانوا يشعرون وكأنهم في بلادهم بلا تمييز ولا عنصريَّة، إذ لا فرق في الاسلام بين عربي وأعجمي الا بالتقوى.

ثالثا: مساهمة الدين الاسلامي في تطوير علم الفلك بصفة خاصة. فقد نصَّ الاسلام على خمس صلوات في اليوم في أوقات خاصة، فكان على الفلكيين العرب ان يُسجلوا المواقع الفلكية ويُراقبوا القمر ويَعُدوا الساعات الشمسية لتحديد أوقات الصلاة. فكانت ظروف الطقس اليومية تسهل عليهم ذلك العمل.

رابعا: إتساع حدود الدولة العربية مما شجع على معرفة طبيعة الاقاليم وشعوبها.

خامسا: إهتمام الخلفاء بمعرفة طبيعة ومسالك وممالك البلاد الواقعة بيد المسلمين.

سادساً: إهتمام قادة الجيوش العربية بجمع معلومات عن تضاريس البلاد الأجنبية قبل غزوها لتأثير ذلك في سير المعارك.

سابعاً وأخيراً: تشجيع الرسول (ص) التجار العرب للعمل داخل بلاد الاسلام وخارجها فشملت تجارتهم أنحاء مختلفة من بلاد الصين والبلغار واوروبا وبلاد الزنج. كل ذلك ساهم في حمل الأخبار عن تلك البلاد اما بالمناقلة او بالتدوين.

كل هذه الأسباب شجعت على الاهتمام بالمعرفة الجغرافية في مختلف أنحاء الدولة الاسلامية وخارجها، حتى أصبح هذا الاهتمام جزءاً لا يتجزأ من العمل الأداري لها. وهنا نجد أول إستقلال لما يَصُح ان يُسمَّى «الجغرافية الادارية او السياسية» للمنطقة.

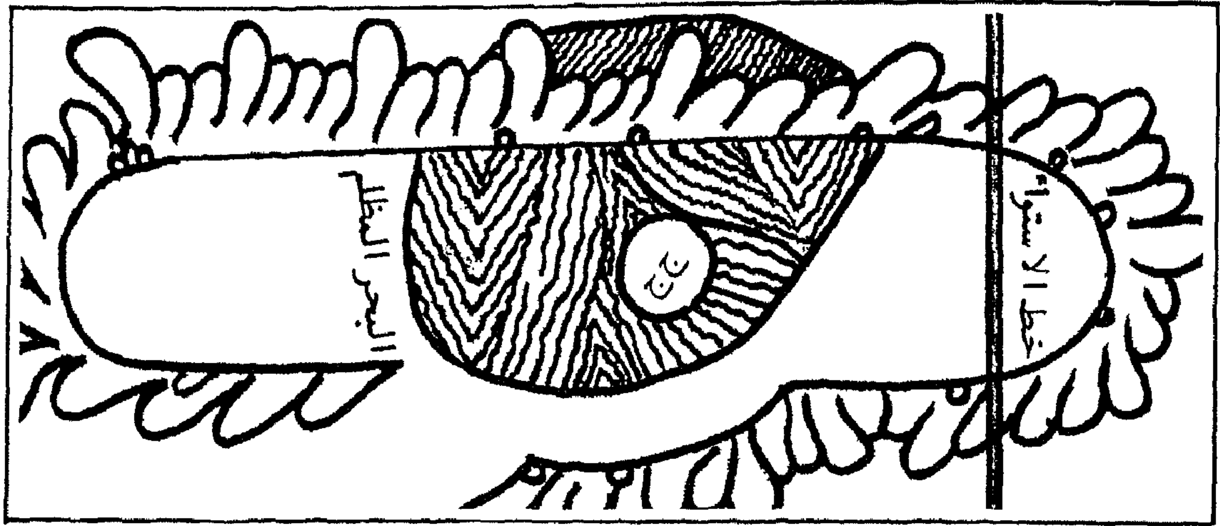
واذا ما تتبعنا تاريخ التأليف الجغرافي في اللغة العربية في أدواره الأولى لوجدنا ان مجموعة الجغرافيين الذين كتبوا في القرن الثالث للهجرة كانوا متأثرين الى درجة كبيرةٍ بالمعرفة اليونانية الرومانية. وإذا جاز لنا تسمية هذه المجموعة من الانتاج الجغرافي لسميناها: «الجغرافية اليونانية مترجمة او معرَّبة».

يُمثِّل هذه المدرسة إبن خرداذبة والخوارزمي واليعقوبي وابن رشد وابن رسته وابن الفقيه. وقد اخترت في هذا البحث مؤلفات الاول والثاني. وسوف نبدأ بموسوعة إبن خرداذبة «المسالك والممالك».

يعتبر كتاب المسالك والممالك أول مصنف عربي كامل في الجغرافية الوصفية يقع تحت أيدينا. يتناول الكتاب معلومات تقليدية في الجغرافية الرياضية وصفة الارض وبُنية الخلق وقبلة أهل كل بلد وأعراض البربر وعجائب الدنيا والارض والبنيان والجبال بالاضافة الى المسالك في مختلف أنحاء الأرض التي كانت معروفة في ذلك الزمن. وهذه بعض مقتطفات من المواضيع المذكورة أعلاه.

١ – صفة الأرض وبنية الخلق:

«صفة الأرض انها مُدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمُحة في جوف البيضة والنسيم حول الأرض هو جاذب لها



من جميع جوانبها الى الفلك. وبنية الخلق على الارض أن النسيم جاذب لما في ابدانهم من الخفة والارض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل، لأن الارض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد. والارض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب. وهذا طول الارض وهو أكبر خط في كرة الأرض. كما ان منطقة البروج أكبر خط في الفلك. وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل حتى موضع خط الاستواء ثلثمائة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ إثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ. وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة اسطرلابية واستدارتها عرضاً مثل ذلك. إلا أن المعمورة بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير. فنحن على الربع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب لشدة الحرّ فيه، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكل ربع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم. وقد ذكر بطليموس أن مدن الارض على عهده بلغت أربعة آلاف ومائتي مدينة».

٢ - قبلة أهل كل بلد:

«فقبلة أهل ارمينية وآذربيجان وبغداد والكوفة والبصرة وحلوان وأصبهان وطبرستان وخراسان وبلاد الخزر[٢] وكشمير الهند كلها الى حائط الكعبة الذي فيه بابها وهو من القطب الشمالي عن يساره الى وسط المشرق. أما التبت وبلاد الترك والصين فخلف وسط المشرق بثمانية أجزاء لقرب قبلتهم من الحجر الاسود. أما قبلة اهل اليمن فصلاتهم الى الركن اليماني ووجوههم الى وجوه أهل أرمينية إذا صلوا. وأما قبلة أهل المغرب ومصر والشام والجزيرة فصلاتهم الى الركن الشامي ووجوههم اذا صلوا الى وجوه أهل المنصورة اذا صلوا. فهذه قبل القوم والنحو الذي يُصلون اليه».

٣ - ملوك الأرض في أول الزمان وممالكهم والقابهم:

«كان أفريذون قسَّم الارض بين بنيه الثلاثة: فملك سلم وهو شرم على المغرب. وملك طوش وهو طوج على المشرق. وملك ايران وهو إيرج على ايرانشَهَر. أما عن ألقاب

ملوك الارض فنجد ملك العراق هو شاهنشاه. وملك الروم باسيل، وملوك التبت والترك والخزر كلهم خاقان».

٤ — أعراض البربر:

«كـــانت ديار البربر فلسطين وملكها جالوت. فلما قتله داوود جلت البربر الى المغرب حتى إنتهوا الى لوبيه ومراقيه[٣] فتفرقت هناك. فنزلت جماعات منها الجبال وأخرى المدن. فجماعة هوارة مثلا نزلت مدينة إياس وهي أطرابلس[٤] وكانت للروم فجلت الروم الى صقلية وهي جزيرة في البحر ثم انتشرت الى السوس الادنى خلف طنجة. ولما رجع الروم الى مدنهم بعد صلحهم مع البربر، كرهت البربر سكنى المدن فنزلت الجبال. أما المدن فعادت روميَّـــة واستمرت الى ان فتحها المسلمون».

٥ — عجائب الدنيا والارض:

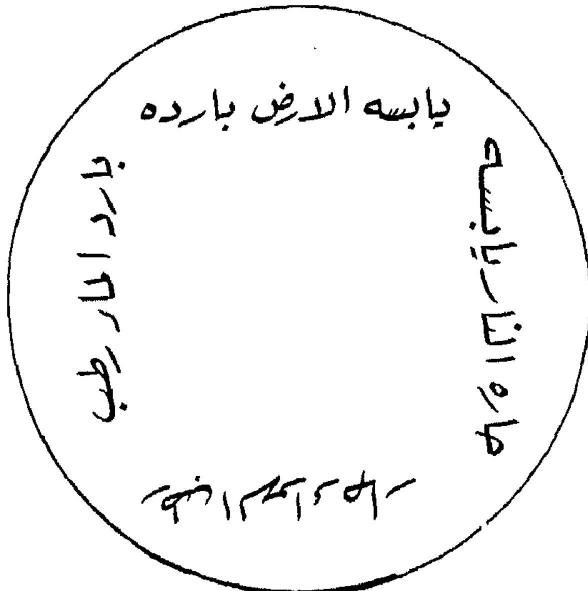
(أ) «مرآة معلقة بمنارة الاسكندرية كان رجل يجلس تحتها فيرى القسطنطينية وبينهما عرض البحر.

(ب) فرس من نحاس بأرض الاندلس قائلاً بكفيه كذا باسطاً يده أي ليس خلفي مسلك فلايطأ تلك الأرض أحد الا إبتلعته النمل.

(ج) منارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد فإذا كانت الاشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس وسقوا وصبوا في الحياض فإذا انقضت الاشهر الحرم إنقطع ذلك الماء.

(د) نار بصقلية، بالاندلس وبالهند، تشتعل في حجارة إن رغب أحد أن يحمل منها شعلة تتقد.

(هـ) بيتان وجدا بالاندلس، ففتح أحدهما وهو بيت الملوك فوجد فيه أربعة وعشرون تاجاً وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه، ووجد فيه أيضاً مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام. ووجد على البيت الآخر أربعة وعشرون قفلاً. كان كلما مرَّ ملك زاد عليه قفلاً ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لُذريق وهو آخر ملوكهم فقال لا بد لي من ان أعرف ما في هذا البيت وتوهَّم أن فيه مـــالاً وجـوهرا، فـــإجتمعت الاساقفـــه والشمامسة[٥] فأعظموا ذلك عليه وسألوه ان يأخذ بما فعلت الملوك قبله فأبى الا أن يفتحه فقالوا انظر ما يخطر على بالك من مال تراه فيه فنحن نجمعه لك وندفعه اليك ولا تفتحه فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ونبالهم فدخلت العرب بلادهم في السنة نفسها التي فتح فيها ذلك الباب ووجد قتيبة بن مسلم بمدينة تدعى بيكند قدوراً عظاما يصعد اليها بسلالم.



هذه الدائرة التي تقع في البحر هي جزيرة الجوهر

وهذه دائرة صوَّرتها الحكماء على شكل الدنيا وأظهروا للعيـان ان الله تعالى بلطف تدبيره جعل تمازج هذه الطبائع الأربع من أطرافها وحواشيها التي يشابه بعضها بعضا كامتزاج الحر بالحر والبرد بالبرد على ما في هذا الشكل حتى خلق منها هذا العالم مع ما بينهـا من التعادي والفرقة».

٦ – عجائب البنيان والجبال واستحالة المياه:

(أ) «الهرمان بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع كلما ارتفع دق. وهما رخام ومرمر. والطول يساوي العرض وهو لكل منهما أربعمائة ذراع.

(ب) بناء رومية والاسكندرية يقال أنها بنيت في ثلثمائة سنة وان اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها نهاراً الا بخرق سوداء مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها. ومنارتها العجيبة على سرطان من زجاج في البحر.

(ج) منف مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين باباً وجعل حيطان المدينة بالحديد، وفيها كانت الانهار التي تجري من تحت سريره.

(د) جبل باليمن ينبع من قبلته ماء فيسيل على جانبه وقبل أن يصل الى الارض يجمد. ووادٍ بآذربيجان يجري ماؤه ثم يُستحجر فيصير صفائح صخر». هذه أبرز المقتطفات التي قدمها لنا ابن خرداذبة في كتابه المذكور.

الموسوعة الثانية للخوارزمي وهو كتاب «صورة الارض». يعتبر الخوارزمي أول الجغرافيين العرب بل أول الفلكيين. ظهر في عصر المأمون وأشرف على مكتبة بغداد. لعل اشهر مؤلفاته هـو كتاب«صورة الارض» أو رسم الربع المعمور. وصورة الأرض هي الترجمة العربية المعهودة في ذلك العصر.

وقد لاقى مصنف الخوارزمي هذا المصير نفسه الذي لاقته مصنفاته الاخرى. فهذا الكتاب يوجد في شكل ناقص. كما ان خرائطه التي كان يحويها مفقودة. فهو معروف لنا حتى الآن في نسخة واحدة فقط بمكتبـة ستراسبورغ في فرنسا يرجع تاريخها الى حوالي ١٠٣٧ ميلادية اي الى ما بعد قرنين فقط من تـاريـخ الكتـاب. ونظراً لغلبة الفلك والرياضة على الخوارزمي فقد وضع مصنفه هذا على هيئة جداول مع إضافات واسعة من ميـدان الجغرافية العربية. اول ما يستدعي الانتباه هو تقسيم الخوارزمي للأقاليم السبعة حسب درجات العرض المختلفة وهو تقسيم يختلف عن كل التقاسيم الاخرى المعروفة لدى العرب. ويعتمد أساساً على حسابات العلماء اليونان فكل صفحة في مصنف الخوارزمي تشمل المدن الرئيسية موزعة على الأقاليم السبعة حسب بعدها عن خط الزوال[٦]. كما يتضمن مصنفه جداول بالجبال والبحار والجزر والانهار.

ان الخوارزمي قد أبدى الكثير من الجرأة العلمية في تقسيمه الجديد للأقاليم كما أنه قد أظهر ايضاً الكثير من الاصالة والابتكار في خرائطه التي تختلف إختلافاً تاماً عن الخرائط المعروفة لدينا من العهود التالية. فتقوم اهميتها قبل كل شيء على انها تمثل اقدم ما وصل الى ايدينا من آثار الكارتوغرافيا العربية. ففي خريطته التي رسمها لنهر النيل يتضح ان مجراه كان معروفاً جيداً في ذلك الوقت. كما رُسمت عليها حدود الاقاليم السبعة بـوضوح.

ويقول أحد المستشرقين في تقييمه لكتاب الخوارزمي هذا «انه لا يوجد شعب أوروبي واحد يستطيع ان يفخر بمُصنَّف يمكن مقارنته بهذا الكتاب الذي يعتبر أقدم أثر في الجغرافية العربيـــة».

وراء جبل القمر
جبل القمر
البطيحة الثانية
البطيحة الاولى
خط الاستواء
البطيحة الصغيرة
بلاد النوبة
فزان
علوه
دنقله
الاقليم الاول
اسوان
قوص
اخميم
اسنا
الاقليم الثاني
اسيوط
اشمون
الفسطاط
جبل المقطم
الجيزة
الاقليم الثالث
الاسكندرية
دمياط

نهر النيل كما عرفه العرب في العصور الوسطى

صحيح أن تأثير هذا الكتاب كان محدوداً في أوروبا الوسيطة لكن تأثيره في العالم العربي كان هائلاً. فقد قلّده كثير من الجغرافيين اللاحقين خاصة في تقسيمهم للأقاليم السبعة ومنابع النيل.

كنا قد أشرنا في مستهل بحثنا أن المدرسة العربية في القرن الثالث للميلاد قد تأثرت تأثراً كبيراً بالمدرستين اليونانية والرومانية غير أنها اصبحت ناضجة خالصة العروبة الى حد كبير إبتداءً من القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) بفضل علماء كبار كالاصطخري والمقدسي والمسعودي وغيرهم وظل الفكر الجغرافي العربي بعد ذلك مزدهراً حوالي ثلاثمائة عام إنتهت بوفاة أبي الفدا عام ١٣٣٢ ميلادية - ٧٣٢ هجرية فبعده إختفى ما يمكن تسميته بالجغرافية العلمية. ■

هوامش:

(١) تفصل طبيعيا بين اسبانيا وفرنسا
(٢) قزوين
(٣) من مدن ليبيا القديمة وتقع في اقليم برقة
(٤) طرابلس الغرب اليوم
(٥) رتبة من رتب رجال الدين المسيحي
(٦) خط الطول الرئيسي او خط منتصف النهار وقد جعل الخط يمر بجزر السعادة اي الجزر الخالدات وتسمى اليوم جزر الكناري في المحيط الاطلسي.

مراجع البحث:

١ - عبد الفتاح محمد وهيبة - تطور الفكر الجغرافي ١٩٧٢ و١٩٧٩.
٢ - الخوارزمي - صورة الأرض.
٣ - ابن خرداذبة - المسالك والممالك.



تـاريخ المجوهرات ٢

الذهب

٤٠٠٠ سنة من العقود

ليرات انكليزية ذهب غير مستعملة في انكلترا!





■ عند البدء بالكتابة عن عالم الذهب والاحجار الكريمة والمجوهرات علينا ان نوضح ان الموضوع يتناول من المعادن الذهب فقط ومن الاحجار تلك الكريمة منها – الكريمة حقا والثمينة، لانه يوجد من الاحجار ما يسمى نصف كريمة Semi Précieux كما انـه توجد معادن ثمينة اخرى كالبلاتين والفضة وغيرها وهذه سنفرد لها بحثا خاصاً آخر. ان هذه النفائس لها عالمها الخاص في جميع انحاء العالم فمنذ ان اكتشف الانسان هذه الأشياء في باطن الارض وعلى رؤوس الجبال وفي أعماق البحار وعلى شواطىء الانهار والاهتمام بها في تزايد مستمر والتهافت على اكتشافها واقتنائها في اشتداد على صعيد الأفراد والدول. وكل له أسبابه. فالنساء يعشقنها للزينة والرجال لزيادة ثرواتهم والدول لتغطية عملاتها وتوسيع نشاطاتها.

كـان الأنسان القديم قبل اكتشاف الذهب وقبل اختراع العملات الورقية اذا أراد ان يبيع حصانا أو خروفا ويشتري بدلا منه جملا أو حمارا فانه ينزل الى السوق ليفتش عن رجل معه جمل أو حمار ويريد ان يشتري به حصانا أو خروفا. فيقايضه او يبادله. فاذا كانت القيمة متساوية تكون قضية البيع والشراء قد حلت وانتهى الأمر. ولكن المشكلة كانت تظهر دائما عندما يعثر على مبتغاه دون ان يكون قادرا على العثور على من يأخذ مـا لـديه للمقايضة، أو عندما يكون سعر الجمل أكثر من سعر الخروف أو سعر الحمار اقل من سعر الحصان فكيف العمل؟ الانسان القديم كما هو معلوم كانت ممتلكاته المنقولة هي الحيوانات والدواجن. وغير المنقولة هي بيوت القش والكهوف. ولم تكن عنده أشياء يقايضها لكي يستقيم البيع والشراء. ابتدأوا بالاصداف والبلطات والتبغ والأرز والشاي والبلح. فالحمار ثمنه خمسة أصداف والجمل بمائة بلطة والخروف بعشر كومات من التبغ والجدي بخمس كومات من الأرز وهلم جرا ولا زال بعض الهنود في أمريكا يستعملون العقود الصدفية كنوع من انواع العملة كما ان بعض القبائل في يومنا هذا تستعمل الجمال والابقار كمهر لبناتها فهذه مهرها عشرون جملا وتلك خمسون بقرة والاخرى أربعون نـاقـة. ولكن عندما تم اكتشاف المعادن كالذهب والفضة والنحاس حلت المشكلة واصبحت هذه المعادن هي المعتمدة للبيع والشراء ولم يكونوا ليستعملونها قطعا متساوية بل بوزنها على طريقة بدائية. وموضوعنا اليوم هو عن الذهب.

ان هذا المعدن الاصفر اللماع مرغوب لدى الجميع كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً دولا وحكومات فقراء واغنياء وهو المقياس الذي يحدد مدى ثراء اي دولة من الدول. وثمة اجماع على اعتباره من اهم غطاءات العملات الورقية وضمانة لثقة الناس بهذه العملة أو تلك ولا ينافسه في عصرنا سوى البترول.

إن تاريخ اكتشاف الذهب قديم جداً، يرجع الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد، وان اكثر الـدول المنتجة له هي على التوالي جمهورية افريقيا الجنوبية، الاتحاد السوفياتي، كندا، الولايات المتحدة الاميركية. وقد أخذ حديثا يستعمل في بعض الصناعات كطب الاسنان وطلاء القصور والمعابد وفي الادوات الالكترونية والاحجار الصناعية والعربات الفضائية والاعمال الكهربائية، وصناعة الملاعق والسكاكين والشوك وغيرها من الادوات المنزلية (وهي طبعا تصنع لطبقة كبار الأثرياء في



ضارب نقود يعمل داخل محترفه في القرن الخامس عشر في بوهيميا

العالم). والذهب عند اكتشافه واستخراجه يكون كحبيبات الرمل الصغيرة المجبولة ببعض ما علق بها من بعض المواد الغريبة. ويجري تذويبه على حرارة عالية وتنظيفه من الشوائب لكي يصبح ذهباً صافياً مائة في المائة أي ما يسمونه عيار ٢٤ أو عيار ١٠٠٠ في الاصطلاح الدولي. والذهب لين بالنسبة لغيره من المعادن، لذا تجري إضافة بعض المعادن الأخرى إليه كالنحاس والفضة لكي يصبح قاسياً ويسهل تصنيعه. ومن هنا جاءت تسمية عيار ٢٢ وعيار ٢١ و ١٨ وعيار ١٤.. فالعيار ٢٢ يعني أن الذهب في الحلية يشكل نسبة ٢٢ من ٢٤. والعيار ٢١ يعني ٢١ من ٢٤ وهلم جرا.

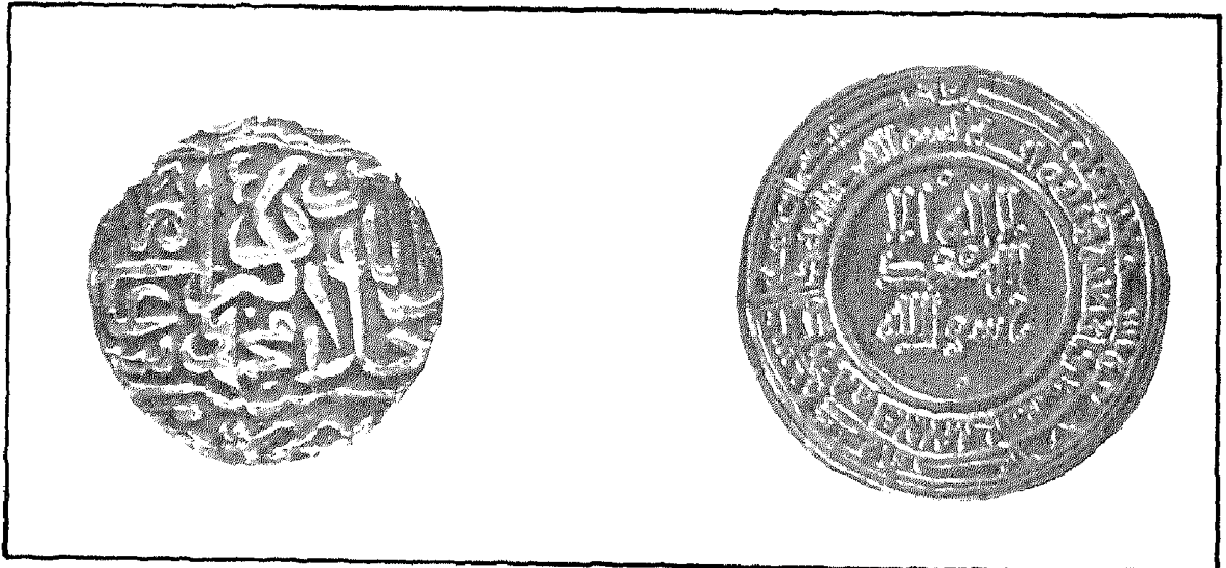
والبعض يعتقد ان عيار ٢٢ مثلا أو عيار ٢١ أفضل. وهذا صحيح من حيث كمية الذهب الصافي الموجود في الحلية ولكن المشتري يدفع دائما ثمن الغرام الواحد طبقا لعياره أي طبقا لكمية الذهب الصافي الموجود في الحلية. وبمعنى آخر فمن يشتري خاتما وزنه ١٨ غراما عيار ٢١ كمن اشترى خاتما وزنه ٢١ غراما عيار ١٨. وفي البلاد العربية الذهب المصنوع اكثره عيار ١٨ وبعضه عيار ٢١ وعيار ٢٢ والقليل منه عيار ١٤ اما في اوروبا وخصوصا في بريطانيا فانهم يستعملون عيار ١٤ وعيار ٩ وقليلا ما يستعملون عيار ١٨.

ان معظم الدول منذ القدم قد صكت عملات ذهبية تحمل على أحد وجهيها رسم ملكها أو رئيس دولتها أو اسمه وعلى الوجه الآخر تاريخ الصك مع بعض النقوش وان اندر العملات الذهبية المصكوكة هي الرومانية والبيزنطية والعربية التي هي من عهد الرسول (ص) ومن العهد الأموي والعباسي ولا يزال هواة جمع العملات النادرة يتهافتون على شرائها ويدفعون فيها المبالغ الطائلة وهم كهواة

جمع طوابع البريد لهم جمعياتهم الخاصة ونشرات سنوية تصدر في اوروبا واميركا وقد بلغ من ندرة بعض القطع ان تضاعف ثمنها خمسين ضعفا أو اكثر. وان سعر المصكوكة يحدد حسب قانون العرض والطلب كما انه ظهرت في السنوات العشرين الاخيرة جماعة من مقلدي هذه العملات استطاعوا تقليدها فلا يعرفها الا من كان من الخبراء. فقد استطاع المقلدون ان يصنعوها بالوزن نفسه والشكل والنقوش التي عليها حتى الذهب نفسه ولكن خطأ بسيطا لابد وان يحصل في حرف من الحروف أو نقطة من النقط أو في أبعاد بعض الحروف عن بعضها أو أي شيء آخر، يكتشفه مجهر الخبير بعد فحص دقيق. والقطع القديمة المطلوبة هي الرومانية والبيزنطية والعربية القديمة الكوفية والروسية القيصرية وقطعة المخمسة العثمانية الرشادية (أي خمس ليرات في قطعة واحدة) والاصلية من هذه الاخيرة تساوي خمسة أضعاف سعرها الذهبي. ان معظم ما يباع اليوم في الاسواق التجارية من عملات ذهبية متنوعة هي حتما مصنوعة من الذهب ووزنها كوزن الأصلية تماما ولكنها ليست اصلية بمعنى ان الجنيه الانكليزي الذهب ليس بالضرورة مصكوكا في انكلترا والمكسيكي ليس مصكوكا في المكسيك وهلم جرا. انما من المفيد معرفة ان هذه القطع تباع بسعر الذهب الذي تحتويه وباضافة نسبة مئوية لا تتجاوز خمسة في المئة.

ولكن بعض المقلدين يتلاعبون بوزن القطعة وعيارها. فمنهم من ينقص من وزنها الحقيقي ومنهم من ينقص في عيارها أي بدلا من ان يكون العيار ٢٢ أو ٢١ يصنعونها من عيار ١٨ ولكن الخبير يعرفها بعد فحصها

ووزنها وقد اعتمدت الدول عند صك عملاتها الذهبية عيارات مختلفة. فالجنيه الانكليزي الاصلي عياره ٢٢ والعثماني ٢٢ أيضاً اما الاميركي والافرنسي والمكسيكي فهو ١٠٠٠/٩٠٠ أي عيار ٢١,٦. والنمساوي عيار ٩٩٩ أي عيار ٢٤ تقريبا كذلك فان بعض المصكوكات العثمانية الذهبية الرقيقة هي من عيار ٢٣. ان الذهب الصافي يباع هذه الايام في شكل سبائك. كل سبيكة وزنها ١٠٠٠ غرام وفي سبائك اخرى تزن الواحدة منها خمس غرامات ومنها ١٠ غرامات ومنها أونص واحد والاونص وزنه حوالي ٣١,١٠ غراماً

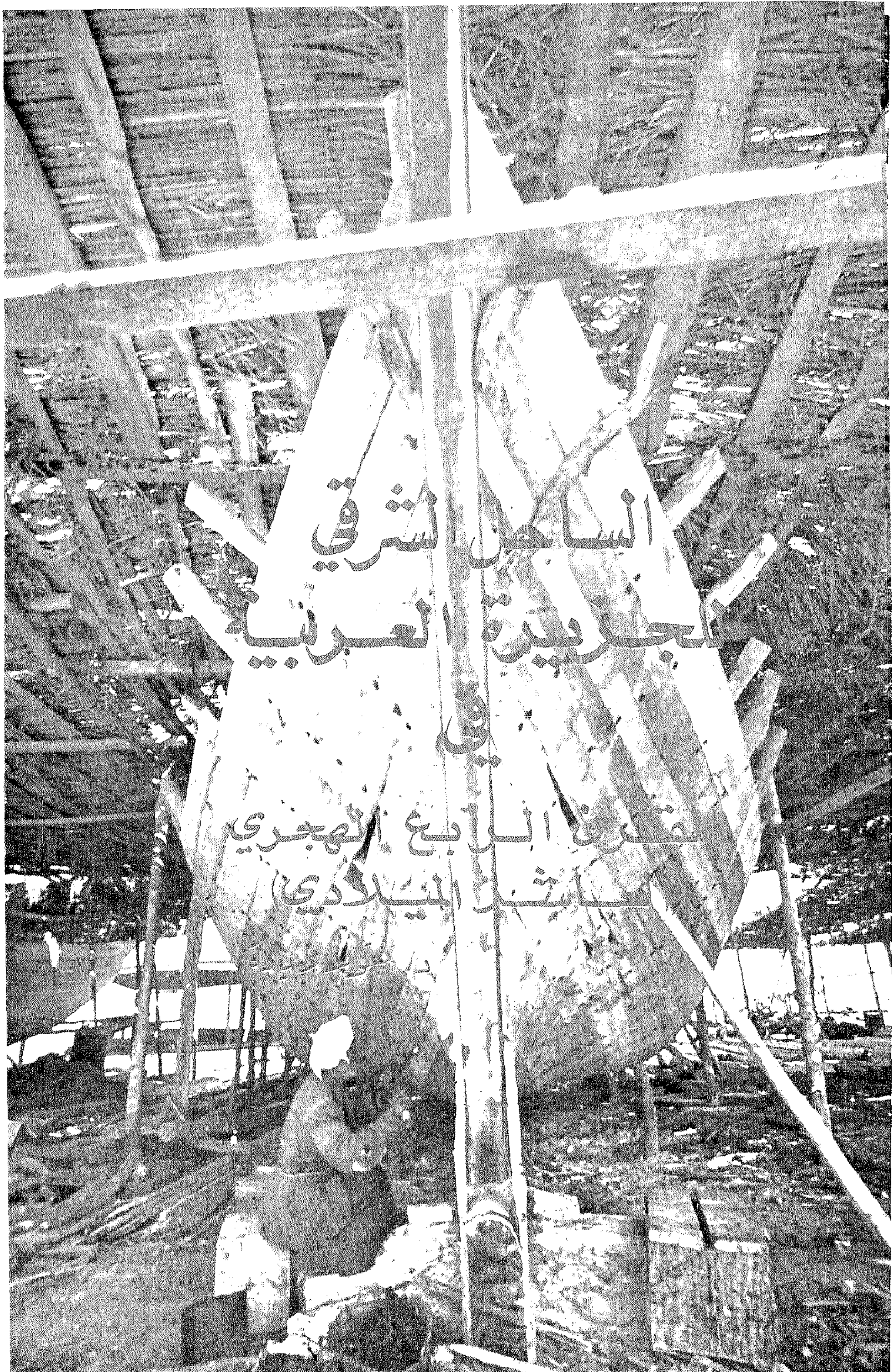


درهم فضي عربي: لا اله إلا الله (القرن الرابع الهجري)



– الملك فيليب المقدوني، في قطعة ٤ دراخمات فضية

واسعار الذهب تخضع لقانون العرض والطلب العالمي. وله بورصات في أكثر عواصم العالم وأهمها بورصة نيويورك ولندن وباريس. وقد ارتفع سعر الذهب منذ العام ١٩٦٥ الى اليوم ثمانية إلى عشرة أضعاف فقد كان سعر كيلو الذهب الصافي بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ ليرة فاصبح اليوم ٢٥٠٠٠ ليرة وهذا طبعا يعود الى عدة عوامل منها انخفاض القوة الشرائية للعملات الورقية أو ما يسمى بالتضخم المالي ثم ازدياد الثروات. ■


الساحل الشرقي
للجزيرة العربية
في
القرن الرابع الهجري
(العاشر الميلادي)

■ المقصود من هذا البحث المقتضب هو جمع المادة التي خلّفها لنا الجغرافيون العرب الذين وضعوا مؤلفاتهم في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بحيث تتكون منها صورة لما كان عليه الساحل الشرقي للجزيرة العربية في ذلك القرن. على اننا قد رجعنا إلى بعض الذين كتبوا قبل ذلك لنكون على بيّنة مما خلّفه الأولون ونقله المتأخرون. ومن هنا كانت عودتنا إلى كتاب صورة الأرض الذي استخرجه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي من كتاب جغرافيا الذي ألّفه بطليموس (طبعة مزيك، فينا، ١٩٢٦)، والى كتاب عجائب الاقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، الذي وضعه سهراب (طبعة مزيك، فينا، ١٩٢٧). والكتابان، من الازياج، أي كتب الجداول الفلكية التي تعين خطوط الطول والعرض للأماكن. وقد عاش الخوارزمي في القرن الثالث (التاسع). أما سهراب فقد كان من أهل النصف الأول من القرن الرابع (العاشر).

وبعد الافادة من هذين الكتابين انتقلنا إلى أربعة من الجغرافيين الكتّاب الذين وضعوا كتباً هي أقرب إلى أن يكون واحدها دليلاً شبه رسمي للطرق والمسالك والدروب مع الاشارة الى ما يرتفع في بعض البلاد من المكوس والأتاوات. وهذه الكتب هي: (١) كتاب البلدان لليعقوبي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (طبعة ليدن، ١٨٩٢). (٢) المسالك والممالك لابن خرداذبة المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ (أوائل القرن العاشر) (والكتاب منشور في ليدن، ١٨٨٩). (٣) كتاب الاعلاق النفسية تصنيف ابن رسته (طبعة ليدن، ١٨٩١). (٤) نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (طبعة ليدن، ١٨٨٩). والمؤلفان الأخيران من أهل القرن الرابع (العاشر).

ويأتي بعد ذلك الجغرافيون البلدانيون الذين وصفوا العالم الاسلامي بخاصة (وبعض اجزاء أخرى من العالم بعامة). والذين أفدنا منهم، هم (١) الاصطخري صاحب المسالك والممالك وقد اعتمدنا طبعة محمد جابر عبد العال الحيني (القاهرة، ١٣٨١/١٩٦١). (٢) ابن حوقل الذين وضع كتاب صورة الأرض (طبعة ليدن، ١٩٣٦ — تصوير أوفست بيروت لاتا). (٣) ابن الفقيه الهمذاني مؤلف مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٨٨٥). (٤) المسعودي صاحب مروج الذهب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٤). وأخيراً (٥) المقدسي الذي ألف كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، ١٩٠٦). ولا يتسع المقام للتحدث عن هؤلاء الجغرافيين، لذلك نكتفي بالاشارة اليهم هنا، ونضيف انهم جميعهم من رجال القرن الرابع (العاشر).

وقد رأينا انه من المناسب ان نلحق هذا البحث بما كتبه الشريف الادريسي. عن الساحل الشرقي للجزيرة اتماماً للفائدة. ونقلنا ذلك عن الطبعة الجديدة التي يقوم بنشرها معهد الدراسات الشرقية بجامعة نابولي (ليدن، ١٩٧١ — ...).

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان المادة التي تجمعت لنا من هذه المصادر قليلة، ولكن الهدف كان ضم بعضها إلى بعضها الآخر.

وثمة أمور حرية بأن يضعها الباحث

نصب عينيه. منها ان المنطقة كانت فيها أجزاء فقيرة ومن ثم فلم يعن بها الرحالون أو الجغرافيون بالنسبة إلى العصر الذي نتحدث عنه. ومنها ان الاشارات إلى الأماكن لم تكن دوماً دقيقة. ومنها ان المناطق بالذات قد اختلفت تسميتها اليوم عما كانت عليه. ففي القرن الرابع (العاشر)، وحتى في أزمنة لاحقة لذلك، كانت البحرين تعني المنطقة الساحلية المقابلة لدولة البحرين اليوم؛ أي المنطقة المعروفة بالاحساء حالياً. وحتى في ذلك نجد أكثر من تحديد واحد للمنطقة أو أكثر من تسمية واحدة. ولنذكر على سبيل المثال الاحساء نفسها. فعند سهراب الاحساء هي مدينة البحرين وعند ابن خرداذبة فان قرى البحرين تشمل الخط والقطيف والآرة. وابن حوقل يجعل هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال من مدن البحرين.

٢ – الساحل الشرقي للجزيرة العربية

الكتب الازياج تتحدث عن العالم المعروف أو المسكون على انه مقسم إلى أقاليم سبعة، موازية لخط الاستواء. ومن ثم فان الخوارزمي وسهراب، مثلاً، يذكران المدن الواقعة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية إما على انها في الاقليم الأول (مدينة ظفار والبحرين وعمان) أو في الاقليم الثاني (هجر واغلة – ولعلها أوال) أو في الاقليم الثالث (البحرين على البحر). ومثل هذا ينطبق على ابن خرداذبة وابن رسته.

والجغرافيون الكتّاب يصفون الساحل نفسه بطريقة عامة. فيذكرون أسماء المدن والقرى الواقعة عليه من عمان إلى البصرة أو من البصرة إلى عمان. إلا ان ابن الفقيه يعدد أماكن أكثر مما يعددها المؤلفان الآخران.

ولعل خير ما يمكن أن يفعل لتوضيح هذا الأمر، ولو توضيحاً محدوداً، هو ان نورد الأماكن التي يعددها الجغرافيون المختلفون، الكتّاب منهم والبلدانيون، ونقارن بينها. ومن حسن الحظ ان بعض هؤلاء المؤلفين يذكرون المسافات، إما مراحل أو فراسخ أو أياماً، بين نقطة وأخرى.

فابن خرداذبة يورد الطريق على النحو التالي: من البصرة إلى عبادان ثم إلى الحدوثة ثم إلى عرفجا ثم إلى الزابوقة ثم إلى المقرّ ثم إلى عصى ثم الى المعرّس ثم إلى خُلَيْجة ثم إلى حسّان ثم إلى القرى ثم إلى مسيلحة ثم إلى حَمَض ثم الى ساحل هجر ثم إلى العقير ثم إلى قطر ثم إلى السبخة ثم إلى عمان وهي صحار ودبا.

وقدامة يقول ان المنازل من عمان إلى البصرة (فهو يبدأ من الجنوب) السبخة، وهي بين عمان والبحرين، قطر العقير ساحل هجر حمض مسلحة القرنتين حسّان خليجة المعرس عصى المقر الزابوقة عرفجا الحدوثة عبادان.

وينقل ابن الفقيه عن أبي عبيدة ان بين هجر، مدينة البحرين، وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الابل وهي الخط والقطيف والآرة وهجر والبينونة والزارة وجواثا والسابور ودارين والغابة وقصبة هجر الصفا والمشقر والشبعان (والمسجد الجامع في المشقر) وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين ومن قرى البحرين الحوس والكثيب الأكبر والكثيب الأصغر وأرض نوح وذو النار والمالحة والدرائب والبدى والخرصان والسهلة والحوجر والوجير والطربال والمنسلخ والموزي والمطلع والشط والقرحاء والرميلة والهجرة والرجراجة والعرجة.

وقد أورد ثلاثة من مؤلفينا ذكر الطريق البحري من البصرة (أو عبادان) إلى عمان. فابن خرداذبة يقول من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخاً ثم إلى الخشبات فرسخان. ومن الخشبات في شط العرب إلى مدينة البحرين سبعون فرسخاً ومنها إلى الدردور (مضيق هرمز) مائة وخمسون فرسخاً ثم إلى عمان خمسون فرسخاً ثم إلى الشحر مائتا فرسخ ومن الشحر إلى عدن مائة فرسخ. والاصطخري يقول إنه من عبادان إلى البحرين نحو خمس عشرة مرحلة، ومن البحرين إلى عمان نحو شهر، ومن عمان إلى أرض مهرة نحو من شهر وإلى حضرموت من مهرة نحو شهر. ونلاحظ ان ابن خرداذبة استعمل الفراسخ أما الاصطخري فقد جمع بين المراحل والأيام. ولعلّ الاصطخري لما أشار إلى الطريق البري بين عبادان والبحرين استعمل المرحلة لذلك. على أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك،

ولكن اذا تذكرنا ما قاله ابن حوقل عن الاتصال في الساحل الشرقي مِلْنا إلى ترجيح الاحتمال بأن الاصطخري قصد الطريق البري. فقد جاء عند ابن حوقل «وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم. وأما بين البحرين وعبادان فغير مسلوك كان إلى هذه الغاية. وقد سُلِكَ وهو قفر والطريق منها على البحر. ومن البصرة إلى البحرين على الجادة احدى عشرة مرحلة». واستشهد ابن حوقل بان سليمان بن الحسن أتى على هذا الطريق متزوداً الماء من البحرين إلى البصرة ولا ماء فيه. ويضيف ابن حوقل ان الطريق «على الساحل نحو ثماني عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر إلا انه مخوف». فيما يجعل الاصطخري الطريق البري (؟) خمس عشرة مرحلة.

ولنلحظ، بالاضافة إلى ما ذكرنا، ان الطريق الذي رسمه قدامه، من حيث محطاته ومنازله، هو الطريق نفسه الذي نجده عند ابن خرداذبة، والفرق الوحيد بين المؤلفين هو الاتجاه. وقد ذكر ابن الفقيه السابور بين المنازل على طريق هجر والبصرة. والذي نرجحه ان المقصود هو سابون.

٣ - الكور والنواحي على الساحل الشرقي

في الفصل الذي عقده الخوارزمي في زيجه عن المواضع التي تكتب فيها حدود البلدان يقول «بلاد العربية العامرة وهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان». فهو يعتبر البحرين وعمان من البلاد العامرة في الجزيرة العربية. والواقع هو ان هذين القطرين كان لها مشاركة في التجارة البحرية منذ أقدم أزمنة التاريخ.

ويخص الاصطخري بلاد مهرة وعمان بشيء من العناية فيقول عن الأولى: «واما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشِحر وهي بلاد قفرة... وليس ببلادهم نخيل ولا زرع. وإنما أموالهم الابل. وبها نجب من الابل تفضل في السير على سائر النجب. واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك. وديارهم مفترشة، وبلادهم بواد نائية». اما عن عمان فيقول: «وعمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك. وقصبتها صُحار وهي على البحر. وبها متاجر البحر وقصد المراكب. وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على شاطئ البحر... مدينة أكثر عماراً ومالاً من صُحار. وبها (أي عمان) مدن كثيرة



● مدينة الخور.. اليوم.

وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاثمائة فرسخ.... وعمان بلاد حارة جداً، وبلغني ان بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج رقيق، ولم أر أحداً شاهد ذلك إلا بالابلاغ».

وابن الفقيه يرى ما قاله ابن القرية للحجاج لما سأله عن الأقاليم فقال عن عمان «حرها شديد وصيدها عتيد» وأما عن البحرين فقد قال ان جبالها كثيرة.

وابن خرداذبة يقول إن من يسكن البحرين يعظم طحاله ويستشهد على ذلك ببيت من الشعر:

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله
ويُحْسَد بما في بطنه وهو جائع

ويذكر ان الشِحر هي بلاد الكندر وهو على ما يبدو من الاشجار الصمغيّة التي تدر اللبان. ويروي أيضاً بيتاً من الشعر:

اذهب إلى الشحر ودع عمانا
إلاّ تجد تمراً تجد لباناً

وعندما يحاول الدارس للساحل الشرقي للجزيرة العربية ان يتعرف إلى المدن هناك تقابله صعوبة رئيسية وهي الخلاف بين المؤلفين فيما يتعلق بالمناطق بالذات أولاً. ثم فيما يتعلق بمعنى كل من المدينة أو القرية ثانيا. فالتفريق ليس دائماً واضحاً. فابن حوقل يعدد مدن البحرين فيذكر القطيف وهجر والاحساء والعقير وبيشه والخرج وأوال. ويأتي المقدسي فيقول عن هجر ان قصبتها الاحساء ومدنها سابون والزرقاء والعقير. ولا شك في أن في العبارتين تناقضاً من حيث المنطقة والمدن.

ونودّ هنا أن نشير إلى ان المقدسي، بين معاصريه من الجغرافيين. أكثرهم دقة في التعبير المحدد. فهو يضع بين يدي قارئه تحديداً

لما يفهمه هو من الأمر. فقد جعل المصر «كل بلد حله السلطان الاعظم وجمعت اليه الدواوين وقلّدت منه الأعمال وأضيف اليه مدن الأقاليم مثل دمشق والقيروان وشيراز». ويعود فيحدد تعابيره ثانية فيقول «وربما كان للمصر أو للقصبة نواح لها مدن مثل طخارستان لبلخ، والبطائح لواسط، والزاب لافريقية». ويخلص إلى القول بأن أقاليم مملكة الاسلام أربعة عشر: ستة عربية وثمانية عجمية. ويضيف «ولا بد لكل أقليم من كور، ثم لكل كورة من قصبة، ثم لكل قصبة من مدن. ثم ينتقل المقدسي إلى تعيين الكور المختلفة فيذكر، بالنسبة إلى الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، كورتين هما: عمان وقصبتها صُحار ومدنها نزوة والسر وضنك وحفيت ودبا وسلوت وجلفار وسمد ولسيا وملح. وأما هجر، وتسمى البحرين، فقصبتها الاحساء ومدنها سابون والزرقاء وأوال والفقير. وفي المنطقة ناحيتان هما اليمامة وهي تتبع هجر، والثانية مهرة ومدينتها الشحر.

٤ — ملاحظات اقتصادية

يحدثنا ابن خرداذبة عن التجار الراذانية وهم جماعة من التجار «يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية. وانهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً. يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف... ثم يمضون (بحراً) إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك... وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي (البحر المتوسط) فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ثم يركبون في دجلة إلى الابلة ومن الأُبُلّة إلى عمان والسند والهند والصين. كل ذلك متصل بعضه ببعض». والذي يهمنا هنا هو أن عمان كانت على طريق التجار الراذانية.

ومما يدل على ثراء منطقتي البحرين وعمان ما كان يرتفع منهما من الأموال. فارتفاع البحرين، مع اليمامة، لسنة ٢٣٧ هـ كان من العين خمس مائة ألف وعشرة آلاف دينار، ومقاطعة عمان كان ارتفاعها من العين ثلثمائة ألف دينار. ولا شك ان ذلك يعود إلى التجارة التي كانت تمر بهما، فضلاً عن الثروات الطبيعية.

ويقول ابن حوقل عن مهرة «وبلاد مهرة فقصبتها تسمى الشِحر، وهي بلاد قفرة.... وليس بها نخل ولا زرع، وانما أموالهم الابل والمعز، والابل والدواب تعلف السمك الصغار المعروف بالوَرْقَ. وهم... لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه، وأكلهم السموك والألبان والتمور. ولهم نجب من الابل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب. واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك، وديارهم مفترشة به، وبلادهم بواد نائية... وطول مهرة أربع مائة فرسخ».

ويتحدث ابن حوقل عن البحرين فيقول «أما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقطيف وبيشة والخرج وأوال، وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، والى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما... وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب موسومة من الكلف إلى ما يصل اليهم

من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة، بعد اقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل». وهنا نرى ثروة منطقة البحرين (الاحساء اليوم) الزراعية وأهمية جزيرة أوال (البحرين اليوم) كمركز تجاري.

وثمة تجارات أو غلات خاصة بالساحل الشرقي للجزيرة العربيـة حرية بـالاهتمام. فـاليعقوبي يقول عن العنبر «العنبر أنواع وأصنـاف مختلفة ومعادنه متباينة... فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة العنبر الشِحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشِحر... وبعد العنبر الشِحري العنبر الزنجي... وعنبر يؤتى به من الهند يسمى الكرك بالوس... يأتون به إلى قرب عمان يشتريه منهم أصحـاب المراكب». ويعدد ابن الفقيه منتوجات مناطق معينة ويخص عمان بالقني .

والمسعودي كان، بالاضافة إلى أنه مؤرخ وجغرافي، رحالة كثير السفر والتنقل. وقد زودنا بمعلومات عن الخليج العربي وخليج عمان والبلاد الواقعة حولها والمدن المهمة في هـذه البلاد. وهـا نحن أولاء ننقـل عنه ما يعنينا. فقد وصف بحر الهند أو الحبشي (وهو الذي نسميه اليوم المحيط الهندي) وذكر الخلجان والبحار المتفرعة منه وهي الخليج البربري، وقال إن أهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج. وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد. ويقطع هذا البحر السيرافيون. وذكر المسعودي انه قطع هذا البحر من صُحار، قصبة بلاد عمان، مع جماعة من نواخذة السيرافيين إلى جزيرة قنبلو سنة ٣٠٤ هـ.

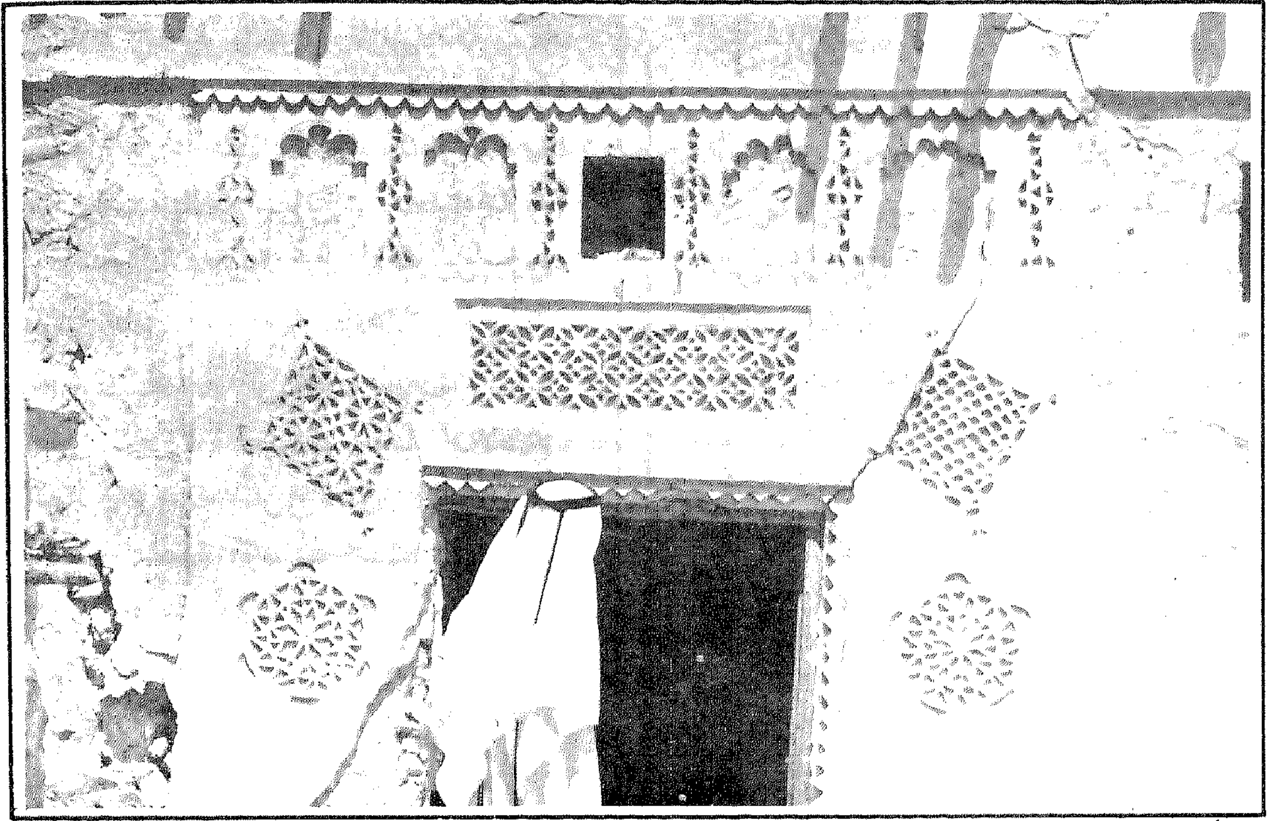
والخليج الآخر الذي يتفرع من بحر الهند هو البحر (الخليج) الذي تقع بلاد فارس شرقيه وساحل الجزيرة غربيه، والذي ينتهي إلى بلاد الأُبُلّة والخشبات وعبادان. ويقابل ساحل فارس ومكران على الساحل العربي بلاد البحرين وجزائر قطر وشط بني جذيمة وبلاد عمان وأرض مهرة إلى رأس الجمجمة إلى أرض الشحر. وفي هذا البحر مغاص للؤلؤ في خارك وأوال. وهذه الجزيرة فيها بنو معن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب. وفضلاً عن اللؤلؤ الموجود في هذا البحر فهناك النحاس في بلاد عمان.

ويضيف المسعودي ان هذا البحر يُركَبُ في سائر السنة من عمان إلى سيراف، وهو مئة وستون فرسخاً، ومن سيراف إلى البصرة، وهو مئة وأربعون فرسخاً.

والمقدسي كان دقيقاً في كتابته إلى درجة كبيرة. ولذلك فان ما عنده من معلومات واخبار حرية باهتمامنا.

فهو يقول عن الشِحر انها مدينة على البحر، معدن السمك العظيم يحمل إلى عمان وعدن ثم إلى البصرة واطراف اليمن. وثم أشجار الكندر وهي اشجار صمغية.

ويتحدث عن صحار فيقول «هي قصبة عمان ليس على بحر الصين (بحر العرب) اليوم بلد اجل منه. عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وثمار وفواكه وخيرات.... أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر. دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق. ولهم آبار عذيبية وقناة حلوة. وهم في سعة



– أحد المنازل العربية القديمة في قطر

من كل شيء. دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن... المصلى وسط النخيل، ومسجد صُحار على نصف فرسخ... قد بُنِيَ أحسنَ بناء وهواؤه أطيب هواء من القصبة. ومحراب الجامع بلولب (أو مكوكب) يدور تراه مرة أصفر وكرة أخضر وحيناً أحمر».

وقد وصف المقدسي الاحساء فقال عنها «انها قصبة هجر وتسمّى البحرين كبيرة كثيرة النخيل عامرة آهلة معدن الحرّ والقحط على مرحلة من البحر» ويقول أيضاً: «اللؤلؤ في هذا الاقليم بحدود هجر يغاص عليه في البحر بازاء أوال وجزيرة خارك».

ويجمل المقدسي أمر التجارات في ديار العرب، عن عمان يقول «إلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والسمسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقندر والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والخضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك».

٥ – تجارة الخليج العربي في القرن الرابع (العاشر)

في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) كان الخليج العربي من مناطق التجارة العالمية الهامة. وكانت الموانئ الواقعة على شواطئه تنعم بالكثير من الخيرات. والموانئ الرئيسية على الخليج العربي وخليج عمان. كانت سيراف وعمان والابلة (ميناء البصرة)، وكانت سيراف الميناء الذي تمر به متاجر فارس. فهي الفرضة العظيمة لفارس، وهي مدينة عظيمة ليس بها سوى الأبنية شي.... وليس بها ماء يجمد ولا زرع ولا ضرع. وهي أغنى بلاد فارس... وقد

أعطى ملاحوها من ذلك حظاً جزيلاً حتى أن أحدهم يبلغ ملكه اربعة آلاف الف دينار وكانت أبنيتها ذات الطبقات العديدة تصنع من خشب الساج الثمين والآجر. وكانت تشترى الدار الواحدة بفوق المئة ألف درهم.

والابلة وعبادان والبصرة كانت نقط الانطلاق لتجارة الخليج في شماله. ويرق الماء في بعض الجهات هناك حتى يخاف على السفن الكبار ان سلكته ان تجلس على الأرض إلا في وقت المد. وبهذا الموضع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليُهْتَدى به ويُعْلَم به المدخل إلى دجلة.

وهكذا فقد كانت الرحلة إلى بحار الهند والصين أو إلى شرق أفريقية تبدأ من الابلة في منطقة البصرة وتجتاز عبادان بارشاد الناظور الساكن في الخشبات. مفيدة من المد وأوقاته. وفي سيراف كانت تجتمع السفن أيضاً. وقد تحمل المتاجر في صغار السفن من البصرة إلى سيراف، حيث توضع في السفن الكبار. فاذا انحدرت السفن في الخليج كان عليها أن تتجنب المتلصصة. ولذلك كثيراً ما كانت السفن تحمل النفاطين والمقاتلين. وكانت أكثر السفن تعرج على صُحار أو مسقط لتحمل بضائع جديدة وتتزود بالماء. وبعض السفن كان يتبع الطريق الآخر محاذياً شواطئ فارس ثم شواطئ مكران فشواطئ السند. وكانت السفن تتجه من عمان إلى شرق أفريقية. ولعلّ أقصى ما وصلته في تلك الجهات جزيرة مدغشقر ■

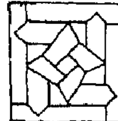
هذه خلاصة لما رسمه الجغرافيون القدامى للساحل الشرقي للجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

الحب.... هل هو حفرة؟

– لافونتين الشاعر الفرنسي الكبير (١٦٢١ – ١٦٩٥) ترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم. قال يوماً يصف الحب: «خطأ هذا الذي يقال في وصف الحب بأنه حفرة يقع فيها الحب... ما أكثر ما قرأت هذا التعبير الغريب في وصف المحبين، عندما يشيرون إليهم بقولهم: «لقد وقعوا في الحب».. أي انهم كانوا يسيرون بثقة وطمأنينة على الطريق الذي استوى أمامهم، ثم إذا بهم فجأة يصادفون بئراً يقعون فيها دون أن يشعروا بوجودها أو بما حدث لهم؟

إن هذا اسخف وصف في الحب.. فهذه العاطفة النبيلة التي تربط بين قلبي الرجل والمرأة لا يمكن أن تكون حفرة أو بئراً، ان الحب بذرة صغيرة يلقى بها في الأرض وهي لكي تنمو وتكبر، وتثمر لا بد لها من وقت، فلم أر بذرة تتحول إلى شجرة بين يوم وليلة.

...أما الحفر والآبار التي يقع فيها المحبون، فنادراً ما نجدهم يخرجون منها. واذا خرجوا وجدناهم قد ضلّوا طريقهم في الحياة».



تاريخ لبنان



من عام ١٩١٤ الى عام ١٩٢٠

محي الدين قدورة

■ كان جبل لبنان يحكم منذ عام ١٨٦١ حسب النظام الاساسي الذي وضع له آنذاك بحيث تحول الى متصرفية مستقلة بشؤونها الداخلية، وظل على هذا الحال حتى عام ١٩١٤ عندما قام جمال باشا وزير الحربية العثماني بقيادة الفيلق الرابع المتوجه الى سوريه وفلسطين ليشن هجوماً عسكرياً على قناة السويس لإخراج الانجليز من مصر فيما بعد.

وقد تذرع جمال باشا بالضرورات الحربية فأرسل في تشرين الثاني عام ١٩١٤ عدة آلاف من الجنود الاتراك الى جبل لبنان معتدياً بذلك على استقلاله الداخلي وناقضاً نصوص نظامه الاساسي الذي يتضمن بنوداً عديدة منها: ان يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي من رعايا الدولة العثمانية يعاونه مجلس ادارة من اثني عشر عضواً يمثلون طوائف الجبل. وما لبث جمال باشا ان جمع السلطة الحقيقية بيديه فأصبح المتصرف وجميع الموظفين في المتصرفية طوع بنانه. كما أنشأ الديوان العرفي في عاليه وعمل كذلك على الغاء امتيازات رجال الدين وجعلهم يخضعون لاحكام الدولة العثمانية المتعارف عليها في المناطق الاخرى.

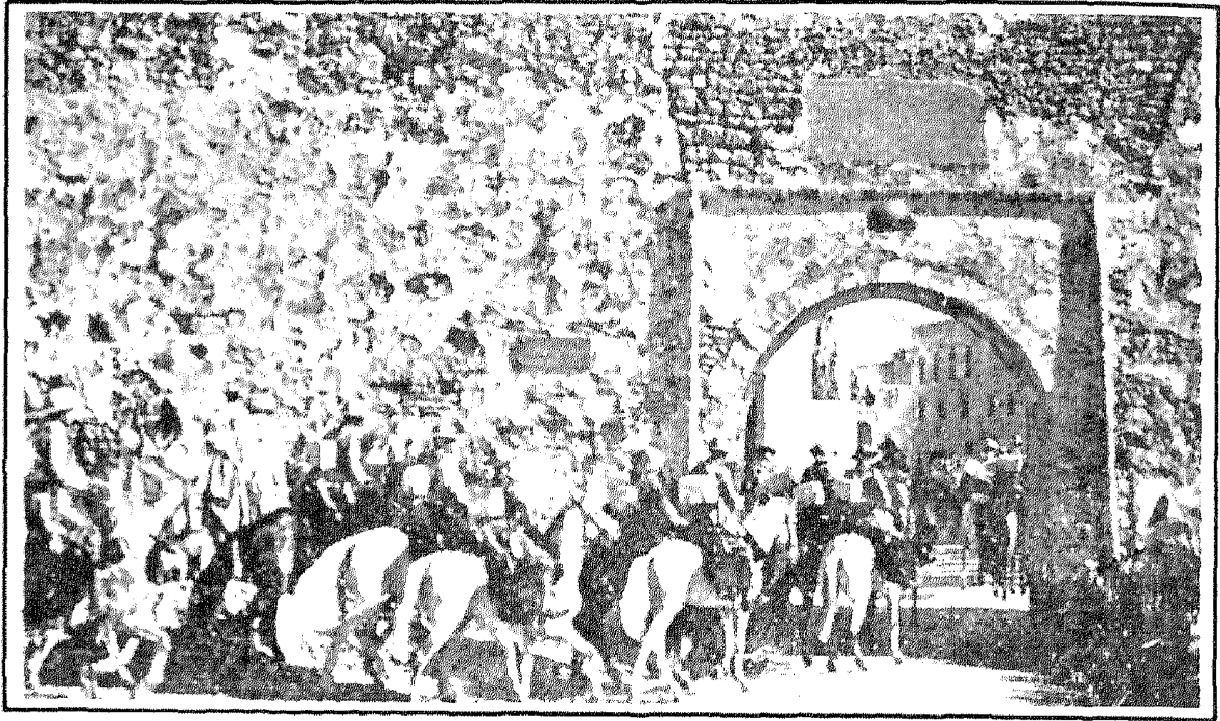
وفي عام ١٩١٥ قامت الدولة العثمانية باقالة المتصرف اوهانس باشا قبل انتهاء مدته وعينت بدلاً منه علي منيف بك فارتكبت بذلك عدة مخالفات لروح البروتوكول ونصه وذلك لأن البروتوكول نص على ان يكون المتصرف مسيحياً وان يحظى بموافقة الدول الاوروبية الخمس التي اشتركت في وضع البروتوكول وهي: فرنسا، بريطانيا، النمسا، روسيا وبروسيا.

ولم يكتف العثمانيون بذلك بل لقد قاموا بالغاء الاستقلال وجعلوا المتصرفية ولاية عثمانية. وقد أدت هذه الاجراءات الى زيادة نقمة سكان الجبل على الاتراك. ليس هذا فحسب بل ان النقمة عمت بلاد العرب عندما بدأت حكومة الاتحاد والترقي تعمل على تنفيذ سياسة تتريك العناصر غير التركية وهي سياسة جابهها العرب بمختلف الوسائل.

المقاومة الوطنية والقومية:

لقد قاوم اللبنانيون كسائر العرب سياسة العثمانيين التي كانت تسعى الى تتريكهم تمهيداً لقتل الروح القومية فيهم. مما دفع الشباب المثقف العربي واللبناني الى تشكيل جمعيات سرية في مختلف المناطق، دعت الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي. وكانت بعض هذه الجمعيات تتستر أحياناً بأهداف علمية أو دينية، لتنجو بنفسها من ملاحقة العثمانيين

(*) محي الدين قدورة، ماجستير في التاريخ، استاذ الاجتماعيات في ثانوية عمر بن الخطاب – بيروت.



شرذمة بريطانية كانت أول من دخل دمشق.

ومراقبتهم. ومن أشهر تلك الجمعيات: القحطانية والعربية الفتاة ولجنة الاصلاح، وحزب اللامركزية الادارية العثماني، وجمعية العهد. وقد كان اعضاء هذه الجمعيات من حيث اهدافهم ينقسمون الى قسمين:

– قسم يطالب بالاستقلال الذاتي ضمن الرابطة العثمانية وتمثله اكثرية اسلامية.

– وقسم آخر يريد الاستقلال الكامل والانفصال التام عن العثمانيين وتمثله اكثرية مسيحية.

اما السلطة العثمانية فكانت تكره الفريقين على السواء وتعمل على ملاحقتهم. لكن بعد وقوع الحرب الاولى أخذ الاتراك يبثون عيونهم للتحري عن نشاط الوطنيين والقاء القبض عليهم أو التضييق على تحركاتهم، وخنق الحريات بأنواعها كافة.

ازدياد تدهور العلاقات العربية العثمانية:

بعد فشل حملة السويس الاولى التي قادها جمال باشا. عزا سبب ذلك الى فرار اللبنانيين والسوريين – شباب المشرق العربي – من الجندية، والى انصراف الوطنيين عن التعاون معه. لذلك اتهم جمال باشا أحرار البلاد بالخيانة واحالهم على الديوان العرفي الذي اصدر احكام الاعدام على عدد كبير منهم.

وقد ذكرت بعض المصادر ان العديد من الذين اعدموا عرفت اسماؤهم من خلال لوائح كانت مخبأة في جدران القنصلية الفرنسية. وقد أفضى احد موظفيها بهذا السر للسلطة التركية التي داهمت المكان وحصلت على مضبطة موقعة من أربعين شخصاً يطلبون فيها حماية فرنسا ومعونتها في سبيل حصول البلاد على استقلالها. بالاضافة الى ذلك فإن رسائل عديدة وصلت من المغتربين الى ذويهم يعلنون فيها عن عدائهم لالمانية وتركية ويخبرونهم عن تطوعهم في صفوف الحلفاء وقد وقعت في أيدي السلطات التركية. فقامت بالقاء القبض على مستلميها.

الاتصالات العربية البريطانية :

خلال تلك الفترة الحرجة تم الاتصال بين افراد من الأسرة الهاشمية في الحجاز وبعض المسؤولين الإنجليز. ومن هؤلاء اللورد كتشنر معتمد بريطانية في مصر، وهنري مكماهون مندوب بريطانية السامي في مصر والسودان. وجرت اتصالات ومراسلات بين الفريقين كان أشهرها تلك المعروفة بمراسلات الحسين - مكماهون التي تبودلت في سنتي ١٩١٥ - ١٩١٦. ولقد اشتملت رسائل شريف الحجاز على مطالب العرب المتمثلة بوحدة شبه الجزيرة العربية بعد تحريرها من الاتراك وتتويج الحسين ملكاً عليها.

اما رسائل مكماهون فقد اغدقت الوعود للشريف حسين معلنة موافقتها مع بعض التحفظات التي ستبحث فيما بعد، أي بعد تحرير المنطقة.

الثورة العربية الكبرى :

بعد اخفاق الحملة العسكرية الثانية التي قام بها جمال باشا على السويس في مطلع عام ١٩١٦ ازداد حقده على الوطنيين العرب. وحملهم نتائج فشله. ثم أمر بالتشدد في ملاحقة الوطنيين المعارضين للسياسة التركية. ووقع العديد من أبرز رجالات العرب في أيدي السلطات التركية التي احالتهم على المحكمة العرفية في عاليه. وعندما علم الشريف حسين بذلك اجرى اتصالاته العديدة بالسلطان والصدر الاعظم. كما قام الأمير فيصل بالاتصال بجمال باشا طالباً منه الرأفة بالمتهمين.

لكن القائد التركي لم يأبه لهذه النداءات فنصب في ١٩١٦/٥/٦ المشانق للعديد من الوطنيين في دمشق - ساحة المرجة - وبيروت - ساحة البرج - آملاً في القضاء على روح المقاومة في نفوس المعارضين العرب.

نتيجة لهذه الاعدامات فجرت الأسرة الهاشمية الثورة في بلاد الحجاز ضد الاتراك في اوائل حزيران عام ١٩١٦ فبدأت مواقع القوات التركية تتساقط بأيدي الثوار العرب واحدة بعد أخرى.

وبعد قتال عنيف امتد في أنحاء شبه الجزيرة العربية وشاركت فيه القوات العربية بقيادة الامير فيصل القوى الحليفة، استطاعت تلك القوى دخول دمشق جنباً الى جنب، ثم تابع الحلفاء تقدمهم فدخلوا مدن سورية الطبيعية[1] الساحلية والداخلية بمساعدة القوى العربية.

بعد هزيمة تركية، وقعت معاهدة مودرس مع الحلفاء بتاريخ ١٩١٨/١٠/٣٠ وخرجت من الحرب فاقدة أملاكها ومكانتها، بحيث تحولت الى دولة ثانوية فيما بعد.

ولقد اعترف بعض رجالات الحلفاء بفضل العرب في احراز الحلفاء للنصر على الاتراك. وعبر عن ذلك لويد جورج في مذكراته اذ قال: «ان العرب قد لعبوا دوراً لا غنى عنه في الاطاحة بتركية».

الوضع الاقتصادي في جبل لبنان خلال الحرب :

بعد دخول تركية الحرب في تشرين الاول (اوكتوبر) عام ١٩١٤ فرضت اساطيل الحلفاء حصاراً بحرياً على طول سواحل الدولة العثمانية ومنها الساحل السوري اللبناني، مما أدى الى تدهور الوضع الاقتصادي. فتوقفت بذلك أعمال التصدير والاستيراد وانحطت الحركة التجارية وفرغت الأسواق المحلية من السلع الاجنبية. فارتفعت الاسعار كثيراً وصعب على الفقراء ومتوسطي الحال تأمين حاجاتهم الفردية منها، كما انقطع وصول أموال المغتربين الى ذويهم فساءت احوالهم. كما

نتج عن ذلك كله المجاعة التي انتشرت في كل الانحاء. فمات الآلاف من السكان وتفشت الامراض على انواعها وبخاصة السل والجرب والتيفوئيد واخيراً الطاعون الذي فتك بالعديد من الأهلين. وفي ربيع عام ١٩١٥ اجتاحت جحافل الجراد أرض سورية ولبنان ثم ما لبثت ان فتكت بالاخضر واليابس فزاد هذا الوضع الطين بلة. فتضاعفت أزمة التموين وانتشر الفقر والجوع والمرض والجريمة وتسببت الازمة في وفاة الآلاف المؤلفة من المواطنين.

الوضع في البلاد السورية بعد رحيل الاتراك:

بعد هزيمة الاتراك وانسحابهم دخلت القوات العربية دمشق وتألفت حكومة مؤقتة في عاصمة الامويين برئاسة الامير سعيد الجزائري. وفي الفاتح من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ ارسل الجزائري برقية الى المدن السورية اعلن فيها تأسيس «الحكومة العربية الهاشمية». وبعد ذلك مباشرة اقام الامير فيصل في بيروت حكومة عربية مؤقتة برئاسة عمر الداعوق رئيس بلديتها.

ثم قامت حكومة دمشق بارسال القائد شكري باشا الايوبي من دمشق الى لبنان ليكون حاكماً عاماً على لبنان مقره بيروت، وعين كذلك جميل الالشي رئيس اركان حرب للأيوبي الذي عين بدوره حبيب باشا السعد حاكماً على جبل لبنان، فأقسم يمين الولاء والطاعة للشريف حسين ولحكومة الامير فيصل العربية. كما رفرف العلم الحجازي فوق مقر الحكومة في بعبدا.

بعد تلك الاحداث التي جرت في البلاد السورية سارعت فرنسا الى احتلال مناطق سورية الوسطى – أي لبنان – منفذة بذلك معاهدة سايكس – بيكو.

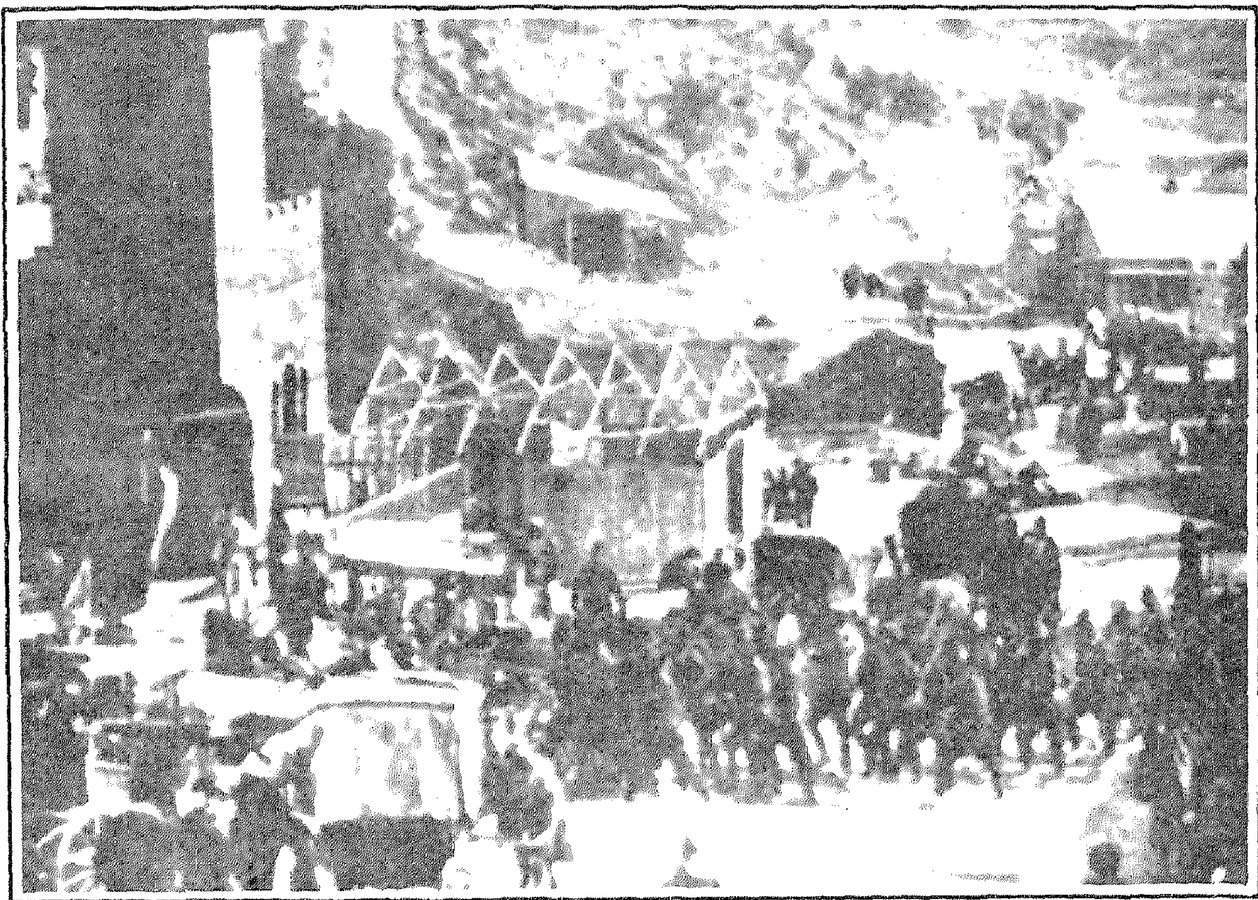
وهكذا سقط الساحل اللبناني والمناطق الداخلية بايدي الفرنسيين والانجليز وجعل لبنان تابعاً لجيش الشرق.

وما كادالفرنسيون يدخلون بيروت حتى اعترضوا على رفع العلم العربي. ويؤكد ألـدينغتـون أن اللنبي – القـائـد الاعلى في المنطقة – طلب من فيصل انزال العلم العربي عن سراي بيروت لأن بقاءه يعتبر استفزازاً لفرنسا. وكادت تحدث مصادمات بين العرب والحلفاء بسبب هذه الاجراءات لولا تدخل الامير فيصل وتسهيله للامور بحيث تسلم الكولونيل دي بيا باب الحكم واشرف على ادارة المنطقة المحتلة.

تقسيم الحلفاء للمنطقة:

في ١٩١٨/١٠/٢٢ اعلن الجنرال اللنبي ان البلاد المحتلة ستحكم بموجب اتفاقية سايكس – بيكو. وهذا الاتفاق كان قد عقد بين بريطانيا وفرنسا في أيار (مايو) سنة ١٩١٦. وقد اتفق الفريقان على اقتسام البلاد التي سيربحها الحلفاء من الدولة العثمانية. فكان نصيب فرنسا لبنان مع سورية الشمالية وبسبب ذلك نجد أنه ما ان انتهى انسحاب الاتراك من بر الشام حتى طالب الفرنسيون بتنفيذ بنود اتفاقية سايكس – بيكو وألحوا على ان يعهد اليهم في إدارة الساحل اللبناني والمناطق الاخرى التي منحوها بموجب الاتفاقية آنفة الذكر.

وقد وافق الانجليز على طلب الفرنسيين ووقعوا معهم على اتفاق يقضي بأن تجمع السلطة العليا السياسية والعسكرية في يد المارشال اللنبي على ان يعين هذا الاخير مندوباً سامياً فرنسياً يطلق عليه اسم مستشار سياسي خاص لادارة شؤون المنطقة الغربية، بالاتفاق مع القائد الاعلى ويحق لهذا المستشار وبمقتضى



– الأتراك ينسحبون من القدس بعد أن حكموها أربعة قرون (١٥١٧–١٩١٧).

هذا الاتفاق انشاء ادارة خاصة في الشقة الساحلية وتعيين الموظفين اللازمين بعد ان يرفع اسماءهم الى القيادة العليا، ويكونون مسؤولين أمامها.

وقد اسندت وظيفة المستشار الى المسيو «جورج بيكو» المندوب السامي الفرنسي في الشرق وقد عين هذا الأخير المسيو كولوندر معاوناً له.

بعد عقد ذلك الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا قامت القيادة العليا للدولتين الحليفتين بتقسيم المشرق العربي الى عدة اقسام ومناطق، وظهر ان بريطانيا قد بدأت تخل بوعودها للعرب – منذ دخول قواتها لمدينة دمشق بمصاحبة القوات العربية المتحالفة معها – حين اصدر الجنرال بولز بلاغاً «يتعلق بادارة اراضي العدو المحتلة أخيراً» وقد قسم البلاد كما جاء في اتفاقية سايكس – بيكو وذلك على النحو التالي:

١– فلسطين – أي المنطقة الجنوبية من البلاد السورية – ادارتها بريطانية وعين الجنرال بولز حاكماً عليها.

٢ – السواحل من لبنان حتى الاسكندرونه – أي المنطقة الغربية – ادارتها فرنسية على رأسها بيكو.

٣ – سورية الداخلية – المنطقة الشرقية الممتدة من حلب الى دمشق – ادارتها عربية وعلى رأسها فيصل.

موقف اللبنانيين من بلاغ الجنرال بولز:

بعد تقسيم البلاد السورية الى ثلاثة مناطق من قبل القيادة العليا (الانجلو فرنسية)، دعيت تلك المناطق باسم حكومات الجيش «لأراضي العدو المحتلة»، مما دفع مجلس ادارة جبل لبنان إلى استنكار هذه التسمية

التي اطلقت على منطقة الجبل ورفع مضبطة الى المراجع العسكرية العليا احتج فيها بشدة على ادخال جبل لبنان ضمن أراضي العدو المحتلة، وأظهر ان الجبل كان حليفاً وليس عدواً للحلفاء. فتجاوبت القيادة العليا للحلفاء مع ما جاء في المضبطة.

بعد بلاغ بولز اتخذ الحلفاء اجراءات لتثبيت سيطرتهم في البلاد السورية. فقامت احتجاجات عديدة متفاوتة الشدة. وانقسم سكان المنطقة الغربية من البلاد السورية الى قسمين تميز كل منهما بموقفه الخاص المغاير لموقف الآخر.

اما الموقف الاول: فهو موقف سكان الجبل ومعظمهم من المسيحيين الذين اصروا على الاستقلال عن أية دولة مجاورة أو بعيدة على ان تضم الى الجبل الاقضية التي سلخت عنه عند انشاءالمتصرفية عام ١٨٦١.

أما الثاني فهو لسكان المدن وبخاصة بيروت وطرابلس وصيداء وصور وبعلبك. وكانت مطالبهم تتضمن الاستقلال عن أي حكم اجنبي مع الارتبــاط بالحكم الفيصلي القائم في مدينة دمشق. وقد عبر كل فريق من اللبنانيين عن موقفه بمختلف الوسائل. ولما كان مصير الاراضي التي تحتلها قوات الحلفاء مطروحاً على بساط البحث في مؤتمر الصلح في باريس، فقد نشط كل فريق لايصال رأيه إلى اعضاء المؤتمر. وهكذا قامت عدة وفود من لبنان تنقل رأي الفريق الأول – سكان الجبل – كما كان الامير فيصل يعبر عن رأي الفريق الثاني الذي يعتبر رأي الاكثرية الساحقة لسكان سورية الطبيعية.

وكانت الاجراءات التي اتخذها اللنبي عبارة عن خطوات أولية للشروع في تنفيذ معاهدة سايكس – بيكو مما أثار مشاعر الشعب في البلاد السورية فسارعت وزارة الخارجية البريطانية لأعادة الثقة الى العرب المتشككين في سياسة الحلفاء في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨، باصدار بلاغ رسمي جاء فيه: «ان السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وبريطانيا العظمى في الشرق تلك الحرب التي أثارتها مطامع الالمان انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالاً طويلة تحت مظالم الترك تحريراً تاماً نهائياً، واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الوطنيين لها اختياراً حراً».

لجنة كنغ كراين، احدى نتائج مؤتمر باريس:

بعد هذه التطورات دعي الامير فيصل الى باريس لتمثيل والده الحسين في مؤتمر الصلح الذي عقد هناك في ١٩١٩/٢/١٨.

وبعد أن قام الامير فيصل بعرض قضية العرب على مؤتمر الصلح في باريس، اتخذ هــذا المؤتمر بتــأثير الرئيس الاميركي ولسن – الذي أبى فكرة الدول المتحالفة الرامية الى اقتسام المسالب – قراراً بارسال لجنة تحقيق دولية مهمتها زيارة الشرق الاوسط والتعرف على حالة الرأي العام وعلى الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمنطقة وتكوين رأي حول تقسيم المنطقة وتوزيع الانتدابات فيها. أما بالنسبة لجبل لبنان فإن مجلس ادارته شكل وفداً برئاسة داوود عمون حمل معه المطالب العديدة التي اتفق عليها سابقاً كي تعرض على المؤتمرين في فرساي. ومن هذه المطالب:

١ – الموافقة على استقلال لبنان التام واسترجاع حدوده التاريخية.

٢ – طلب مساعدة فرنسا وضمانتها لتحقيق ذلك.

وبسبب فشل الوفد الأول في تحقيق الاهداف المرجوة من وراء زيارته تشكل وفد

ثانٍ برئاسة البطريرك الماروني اليـاس الحويك الذي وصل باريس في آب (اغسطس) عام ١٩١٨، حيث باشر اتصالاته مع المسؤولين الفرنسيين وعلى رأسهم كليمنصو. وفي ١٩١٩/١٠/٢٥ تقدم البطريرك الى مؤتمر الصلح بالمطالب السابقة نفسها مضيفاً إليها جعل فرنسا منتدبة على البلاد. ومن ثم عاد الوفد الى بيروت بعد أن حمل رئيسه جواباً مكتوباً من المسيو كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي[٢]

خلال تلك الفترة وصلت لجنة كنغ – كراين الاميركية إلى البلاد السورية فقضت اثنين واربعين يوماً في زيارة اربعين مدينة واستمعت الى وفود الف وخمسمائة وعشرين قرية وتلقت حوالي ألف وثمانمائة عريضة.

وقـد وضعت اللجنـة تـوصيـاتها في ١٩١٩/٨/٢٨ في تقرير طويل[٣] رفع الى المندوبين الاميركيين في باريس في ثلاثة اجزاء الاول تضمن شرحاً لعمل اللجنة وتقريراً عن الاوضاع السائدة. والثاني تضمن توصيات عامة حول تسوية المسألة التركية. اما الثالث فقد تضمن تقريراً سرياً بالنسبة لمؤتمر السلم. ولم يستخدمه المندوبون الاميركيون في باريس بل وضع في ملفات وزارة الخارجية الاميركية في واشنطن حتى عام ١٩٢٢ حين نشر بعد ان فقد أي تأثير له في تسوية القضايا التي عالجها.

اتفـاق لـويـد جـورج – كليمنصو في ١٩١٩/٩/١٥

وبسبب اشتداد المخاوف الفرنسية من قيام المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح بتنفيذ ما جاء في تقرير لجنة كنغ – كراين، سافر المسيو كليمنصو الى لندن ليجتمع الى زميله البريطاني لـويـد جـورج. فاتفقـا على تغيير اتفاق سايكس – بيكـو، بحيث اصبحت فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا، وسورية وحصة من بترول الموصل لفرنسا. أما فيما يتعلق بتحديد بعض الحدود، فقد رفض كليمنصو المطالب المتعلقة بتوسيع حدود فلسطين الشمالية لأن ذلك يعطي مصالح لليهود والانجليز، وأصر كذلك على تنفيذ الاتفاق فوراً.

بعد التوصل إلى هذا الاتفاق بُدئ تنفيذه، فانسحبت القوات باتجاه المناطق التي اتفق عليها بحيث حقق الفرنسيون والانجليز أهدافهم في السيطرة والتوسع. وضمن الاتفاق المزايا والامور التالية:

١ – عـدم مطالبة الفرنسيين للانجليز بأدخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية

٢ – عدم التنازع بين الدولتين في تقرير مصير فلسطين أي ان تكون تابعة لبريطانيا

٣ – عدم التنازع كذلك في وضع العراق تحت الهيمنة البريطانية

٤ – الاتفاق بين الدولتين على ابقاء مقـاطعـة شرق الاردن تحت الاحتلال الانجليزي.

مؤتمر سان ريمو في ١٩٢٠/٤/٢٥:

وعندما اجتمع المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان (ابريل) عام ١٩٢٠ قرر وضع المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والحدود الفـارسيـة تحت حكم الانتداب، وان تقسم سورية إلى أجزاء ثلاثة منفصلة هي: فلسطين ولبنان وما تبقى من سوريـة، وأن توضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. أما العراق وفلسطين فقد وضعا تحت الانتداب الانجليزي.

وهكذا جاءت مقررات سان ريمو حسب

رغبة الدول التي فتحت هذه البلاد. أما عصبة الامم فلم تكن سوى الموزع لتلك الانتدابات على الحليفتين بريطانيا وفرنسا.

وقد أقر لويد جورج نفسه بأن نظام الانتداب كان بديلاً للاستعمار القديم. وبعد صدور هذه المقررات حدث انفجار عنيف في المشرق العربي فقامت التظاهرات الشعبية الصاخبة المطالبة برفضها والوقوف في وجه مريديها.

خلال هذه الاجواء شكل مجلس الادارة لجبل لبنان وفداً ثالثاً برئاسة المطران عبد الله الخوري ليذهب إلى باريس لمعرفة مصير المطالب التي رفعها الوفدان الاول والثاني، لكن السلطة المنتدبة الفرنسية اعتقلت اعضاء الوفد ما عدا رئيسه الذي استطاع الوصول الى باريس حيث اتصل بوزير خارجية فرنسا، وحمل منه رسالة جوابية مطمئنة تضمنت عزم فرنسا على جعل لبنان بلداً مستقلاً في ظل الانتداب الفرنسي وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد على ايدي الجنرال غورو المفوض السامي الفرنسي. ■

الهوامش

(١) سورية الطبيعية أي سورية الحالية زائد لبنان وفلسطين والاردن.

(٢) راجع الملحق رقم (١٠) في كتاب «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان»، لزين نور الدين، دار النهار للنشر، بيروت -١٩٧٧.

(٣) راجع الملحق رقم (٧) في المرجع نفسه.

المراجع

١ - زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان.

٢ - أميل خوري وعادل اسماعيل: السياسة الدولية في الشرق الأوسط.

٣ - جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس.

٤ - د. زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث.

٥ - ريتشارد الدنغتون، لورانس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزت موسى.

٦ - أمين الريحاني، فيصل الأول.

٧ - فيليب نايتلي وكولن سمبسون: المخفي من حياة لورانس، ترجمة لاوند والعابد.

٨ - أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى جـ٢.

٩ - يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام جـ٢.

١٠ - محمد جميل بيهم: سورية ولبنان.

١١ - وجيه علم الدين: العهود المتعلقة بالوطن العربي.

١٢ - خيرية قاسم: الحكومة العربية في دمشق.

١٣ - جورج كيرك: مختصر تاريخ الشرق الأوسط (مترجم).

١٤ - لويد جورج: المذكرات.

١٥ - مصطفى الشهابي: القومية العربية.

جنوب لبنان

تحت الاحتلال الصليبي

● إن الدراسات العربية حول تاريخ الفرنج في بلاد الشام، وفي لبنان بصورة خاصة هي قليلة، اذا لم نقل أنها معدومة، بالرغم من أن فترة وجود الفرنج (التسمية هي للمؤرخين المسلمين القدامى) في بلادنا التي دامت منذ نهاية القرن الحادي عشر للميلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر، قد حفلت بالأحداث التي تركت آثارها المهمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مجمل بلاد الشام، وفي لبنان على وجه الخصوص.

إن من بين الوقائع المهمة التي لا يزال يجهلها الكثير من المؤرخين العرب هو ما ارتبط منها بالنشاط الاستيطاني والاقتصادي للفرنج في منطقة جبل عامل، وفي إمارة صور بالذات، ومنها تلك المعاهدة التي عقدت في عام ١١٢٤ بين الفرنج وجمهورية البندقية وفيها نالت المدينة الإيطالية الساعية لإقامة مستعمرات تجارية لها في بلاد الشام، امتيازات اقتصادية ومالية واستيطانية في مدينة صور وجوارها من القرى، أي في مجمل إمارة صور.

في القرنين الثاني والثالث عشر

محمد حسن حجازي

● محمد حسن حجازي: ماجستير تاريخ.

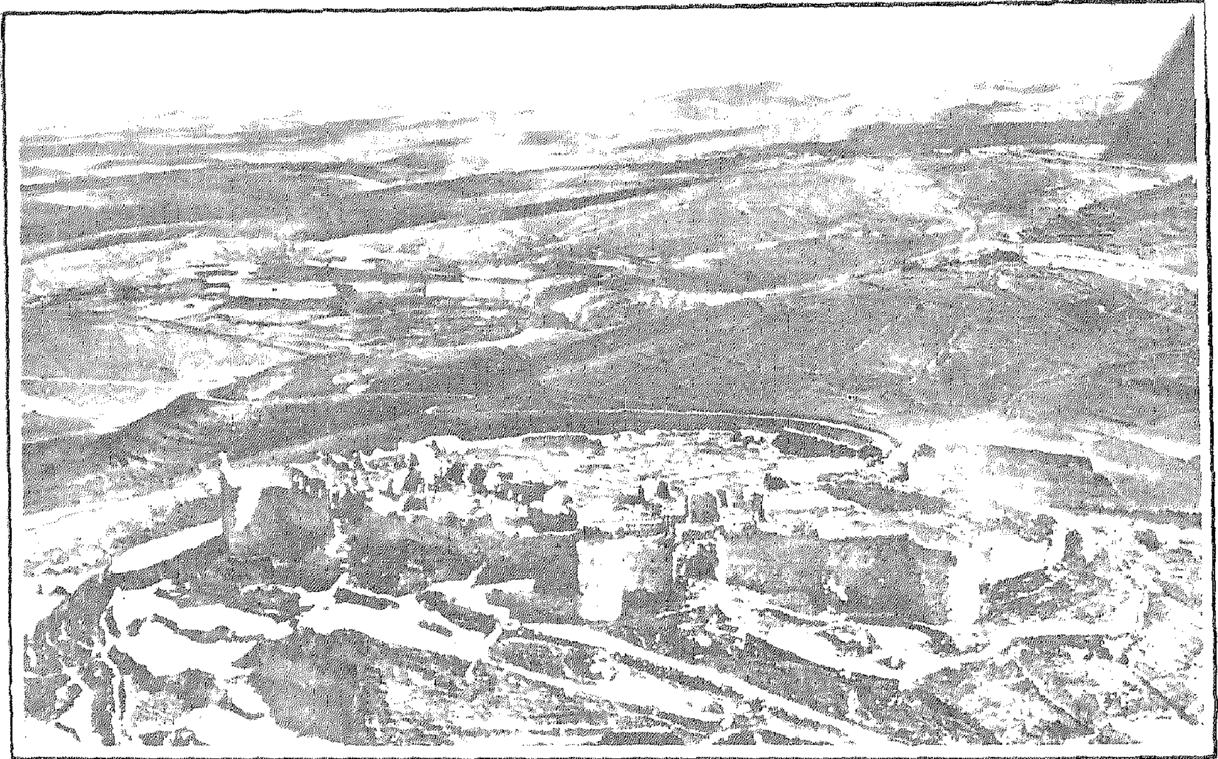
● ولتوضيح الصورة نذكر انه بعد أن احتل الفرنج المنطقة الساحلية من بلاد الشام والمنطقة الداخلية المقابلة لها. قاموا بتأسيس عدة إمارات وبارونيات يهمنا منها في هذا المقال في القسم الجنوبي من لبنان (جبل عامل) ثلاث هي: إمارة طورون (تبنين)، وبارونية ساجيت (صيدا) وإمارة صور.

وجعل الفرنج لكل من إمارتي صيدا وتبنين سلالة حاكمة مستقلة ذاتياً[1] وكانت هذه الامارات جزءاً من مملكة بيت المقدس (المملكة اللاتينية) وترتبط بعرشها عن طريق الالتزامات التي يفرضها عليها النظام الفيودالي (الاقطاعي) الذي كان معمولاً به في بلاد الغرب ونقله معهم الفرنج إلى بلاد الشام. وقد ظلت إمارتا صيدا وتبنين تحكمها سلالتان حاكمتان حتى النصف الأخير من القرن الثالث عشر.

إلاّ أن إمارة صور، لم يكن الحال فيها كحال الامارتين السابقتين. فبعد أن غصبها الفرنج من المسلمين واحتلوها عام ١١٢٤، ألحقت مباشرة بالأراضي الملكية أي التابعة لملك بيت المقدس نظراً لغناها ولأهمية مرفأها بالنسبة للمملكة. وقد ظلت إمارة صور خاضعة مباشرة للملك حتى بُعيد معركة حطين (١١٨٧ م) حين استولى عليها المركيز كونراد دو مونفرّا وقام يدافع عنها أمام هجمات المسلمين بقيادة صلاح الدين الايوبي، وبعد أن نجح في صد الهجوم الاسلامي عنها قام بتأسيس سلالة حاكمة فيها. وقد خلفت أسرته في حكم الامارة أسرة ثانية هي دو مونفور. وقد اشتهر منها الأمير فيليب دو مونفور وابنه الأمير جان[2].

إمتيازات للبنادقة لقاء مساعدتهم في إحتلال صور ١١٢٤:

كان الفرنج منذ السنوات الأولى لبدء حملاتهم عام ١٠٩٦ قد إستطاعوا تثبيت أقدامهم في منطقة الساحل الشامي إبتداء من الإسكندرونة شمالاً حتى يافا وغزة جنوباً. ولا شك أن الخلافات السلجوقية – الفاطمية قد لعبت دوراً مهماً في تسهيل الغزو الفرنجي



– قلعة طورون (تبنين)، بناها هيوغ فالكنبرغ عام ١١٠٥ بهدف السيطرة على المناطق المشرفة على مدينة صور.

لبلاد الشام. فحتى عام ١١٢٤ لم يكن خارج سيطرة الفرنج المباشرة على الساحل إلاّ مرفآن ضخمان هما: صور وعسقلان.

أما صور المدينة المنيعة والمحصنة، فقد حاول الفرنج مرات عديدة إحتلالها ولكنهم كانوا في كل مرة يتراجعون عنها خائبين بسبب دعم الأسطول الفاطمي البحري لها. وكان على الفرنج أن ينتظروا مساعدة من الأساطيل البحرية الإيطالية القادمة إلى بلاد الشام ليتمكنوا منها.

وفي عام ١١٢٤ سنحت الفرصة الذهبية للفرنج بمجيء أحد الأساطيل الضخمة التابعة للبندقية بقيادة الأميرال دومينيكو ميشيل إلى قرب السواحل الشامية، فطلب منه الملك بودوان الثاني، ملك بيت المقدس (١١١٨ - ١١٣١م) المساعدة في إحتلال صور، فوافق البنادقة بعد أن إشترطوا على الفرنج شروطاً تجلت في المعاهدة الشهيرة عام ١١٢٤ والتي نال فيها البنادقة إمتيازات ضخمة في إمارة صور.

إشترط البنادقة على الفرنج أن يأخذوا ثلث مدينة صور عند سقوطها وثلث القرى والمزارع المحيطة بالمدينة. وقضت الإتفاقية بأن هذا الثلث «يملكه البنادقة ولهم فيه الحرية الكاملة والسيادة (ما عدا سيادة الملك)، وتكون ملكيتهم إلى الأبد ودون قيد ولهم فيها حق الإرث».

ونال البنادقة بموجب المعاهدة إمتيازاً يقضي بإعطائهم ٣٠٠ دينار صوري سنوياً يمنح لهم من صندوق المالية الملكي في صور.

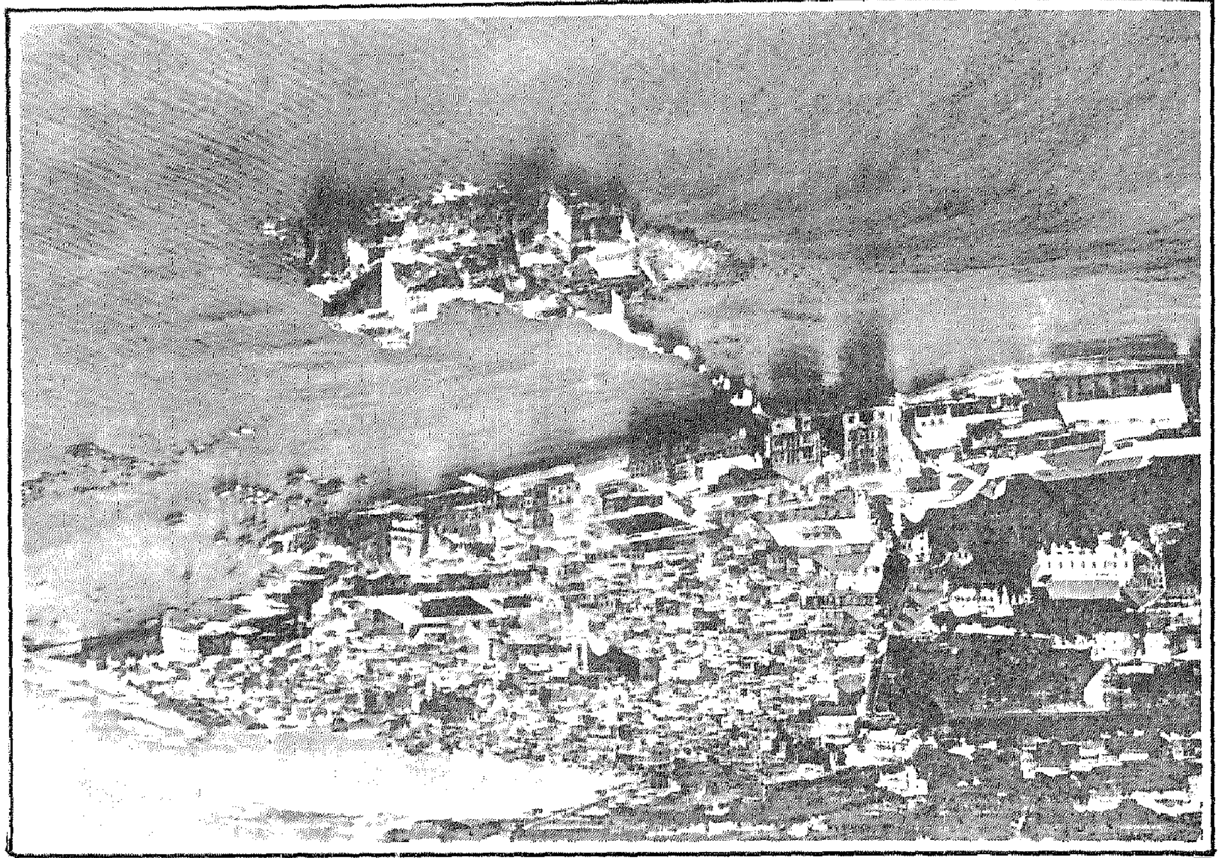
وبموجب المعاهدة أيضاً، حصل البنادقة على إمتيازات أخرى في إمارة صور. فكانت لهم حرية جمركية مطلقة. وأعفي التجار البنادقة من أي رسم دخول أو خروج من المملكة. «والمواطنون البنادقة يجب أن يتمتعوا في المملكة بالحرية التجارية كما لوكانوا في البندقية نفسها». وكانت الحالة الوحيدة التي يدفع فيها البنادقة رسوماً للملك هي عند نقلهم الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة بواسطة سفنهم فيقدمون للخزينة الرسم العادي حسب العرف المتبع للحجيج وهي ثلث قيمة النقل. ومن ناحية ثانية ألزم البنادقة الفرنج بعدم رفع الرسوم الجمركية المعمول بها على الشعوب والأمم التي تتعامل تجارياً مع البندقية.

دويلة البنادقة في إمارة صور:

بعد هذه المعاهدة، صار للبنادقة «دويلتهم» في صور، فهم يملكون ثلث المدينة، وثلث القرى والمزارع المجاورة لها، وبهذه الطريقة تملّك البنادقة أجزاء كاملة أو بعض أجزاء من واحد وخمسين قرية من قرى صور(٣).

أما القسم التابع من المدينة «فموقعه بين المرفأ وحائط السور». وكان للبنادقة في دويلتهم مطلق الحرية في التصرف، وكان على رأسها حاكم بندقي لقبه القنصل وأحياناً الوكيل. وكانت له صلاحيات قضائية إذ يفصل في الخصومات القائمة بين البنادقة أو بين البنادقة والفرنج المقيمين في الثلثين الباقيين من المدينة. ومن مهماته أيضاً أنه كان يجبي الأموال العامة التي كانت تصرف على صيانة الأبنية التي تملكها البندقية، وكان له راتب شهري إضافة إلى تقديمات أخرى كثيرة.

أما تعيين حاكم «الدويلة» أو المستعمرة البندقية فيتم من قبل «المجلس الكبير» المؤلف من كبار أغنياء البنادقة الموجودين في بلاد الشام. وقد ذكرت الوثائق أن وكيل البنادقة في صور عام ١٢٤٤ كان اسمه مارسيل جورج، وقد وضع في نهاية ولايته تقريراً عن



– قلعة صيدا الصليبية، وهي من المراكز الهامة في الدفاع عن بارونية ساجيت (صيدا)

الحالة التي ترك فيها المستعمرات التي عهد بها إليه، وكان يقيم أحياناً في صور وأحياناً في عكا.

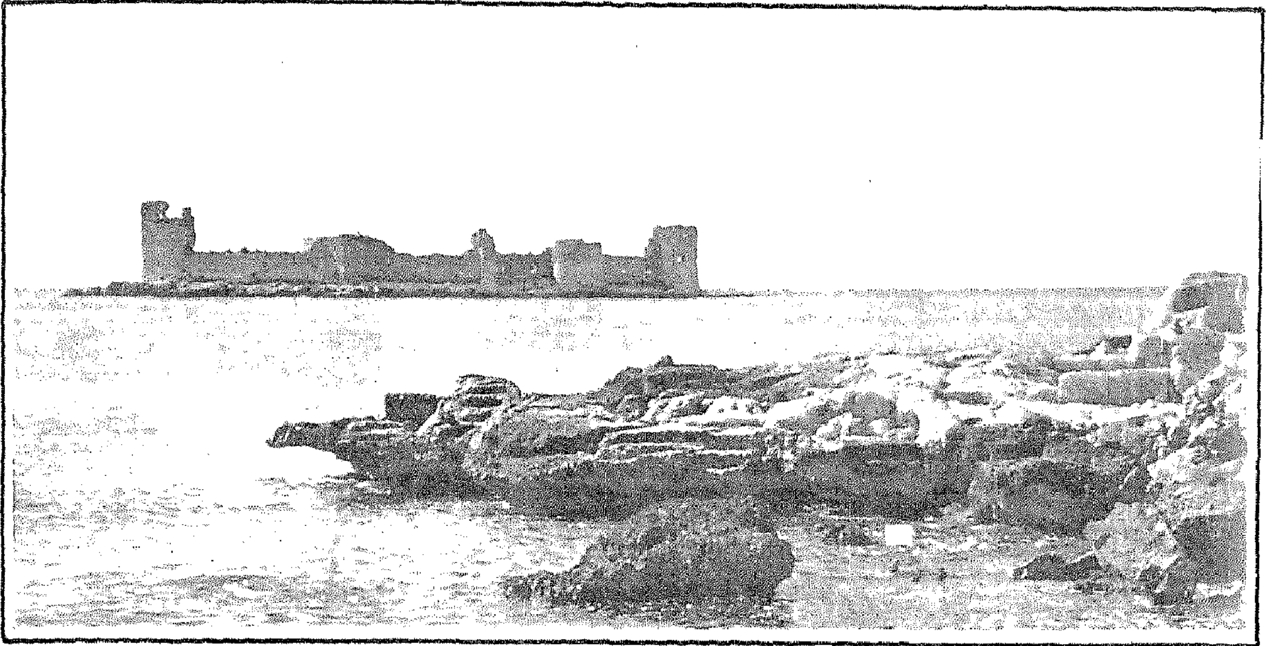
وهناك وثيقة تعود للعام ١٢٤٤، فيها تعداد لعددٍ كبير من القرى والأراضي الواقعة في جوار صور أو في داخل المدينة نفسها والتي تعود للبنادقة منها مثلاً، برج كبير، وثلاث كنائس، واحدة للقديس مرقص وثانية للقديس يعقوب وثالثة للقديس نقولا، إضافة إلى مستودعات وحمامات وبيوت ومتاجر. وقد ذكرت هذه في الوثيقة على أساس أنها تعود لكومبونة البندقية في صور.

وأقام البنادقة في مستعمرتهم تلك محاكمهم المدنية وشرطتهم الخاصة. وقد أنشأ البنادقة في صورأوّل مصنع لضرب النقود الفرنجية والتي كانت تحمل رموزاً مسيحية وأحرفاً عربية. وهي النقود الذهبية التي عرفت باسم الدينار الصوري وهوتقليد للدينار الفاطمي.

نهاية الإمتيازات البندقية في صور:

ظل البنادقة يتمتعون بامتيازاتهم التجارية والإستيطانية في إمارة صور مدة طويلة من الزمن كان فيها وجودهم عاملاً من عوامل النشاط الإقتصادي وعنصراً مهماً من عناصر الإزدهار في إمارة صور. باعتبار أن البنادقة هم تجار وبحارة بالدرجة الأولى.

ولكن في عام ١٢٥٦ وضع أمير صور فيليب دومونفور حداً للإمتيازات البندقية في صور. فقد إندلعت حرب أهلية طاحنة بين المستعمرات الإيطالية في بلاد الشام عرفت باسم حرب القديس سابا. وقد بدأت في عكا بين مستعمرة جنوى ومستعمرة البندقية



فيها وما لبث أوارها أن امتد إلى كل الممتلكات الفرنجية في بلاد الشام وخاصة إمارة صور حيث للبنادقة وجود قوي ومهيمن. فأضحت المياه الصورية مسرحاً لمعارك بحرية كانت طاحنة بين أساطيل المستعمرات الإيطالية وفور إندلاع الحرب قام أمير صور فيليب دومونفور بمصادرة أملاك البندقية في إمارته والغاء الإمتيازات البندقية فيها ذلك أنه وقف في الحرب إلى جانب جنوى ضد البندقية. وظل البنادقة يناضلون ضد أمير صور من أجل إستعادة ممتلكاتهم وامتيازاتهم حتى هدأت حرب القديس سابا بين المستعمرات وعادت العلاقات تتحسن من جديد بين البنادقة وأمير صور عام ١٢٧٧ عندها أصدر قراراً بإعادة العمل بمعاهدة عام ١١٢٤ مع البنادقة فعاد هؤلاء يمارسون نشاطهم من جديد.

بعد هذا التاريخ، لم تدم دويلة البنادقة كثيراً في صور، شأنها في ذلك شأن الوجود الصليبي بكامله في بلاد الشام، إذ لم تمض سنوات عديدة حتى قام الأشرف خليل السلطان المملوكي باحتلال إمارة صور وكل الامارات الصليبية المتبقية في حوزتهم عام ١٢٩١، وطرد الفرنج والمستعمرات التجارية نهائياً من بلاد الشام.

إمتيـــــازات البيزانيين في صور (Les pisans).

لم يتوافر لدينا الكثير من المعلومات حول وضع أهل بيزا في بلاد الشام وجبل عامل. وقد يكون لهم إمتيازات كثيرة كتلك التي حصل عليها البنادقة في مدن الفرنج العديدة ولا سيّما أن البيزانيين كانوا يملكون قوة بحرية مماثلة لقوة البنادقة؛ إلاّ أن ما توافر من معلومات يذكر أن إزدهار إمارة صور الإقتصادي في فترة حكم الفرنج قد جذب البيزانيين إليها، فسعوا إلى إقامة مستعمرات تجارية لهم في المدينة كما سعوا إلى الإستيطان فيها. وقد سهل لهم الملك بودوان الثاني هذا الأمر، فمنحهم في صور خمسة بيوت. ثم ما بين عامي ١١٥٦ - ١١٨٧م. أخذت حصتهم

في المدينة تكبر إما بواسطة الشراء أو بواسطة أعطيات أخرى، فضمت ممتلكاتهم المزيد من البيوت والأراضي الصالحة للسكن، وسوقاً، وكنيسة في قلب المدينة، إضافة إلى بساتين وطواحين في ضواحيها.

وقد حصل البيزانيون على إمتياز وضع مراقبين لهم في مرافئ وأسواق صور وعكا ويافا، مهمتهم السهر على ألاّ يتعرّض أي من مواطنيهم لإستغلال أو لسوء.

(المرجع Civilisations: Peuples et mondes

هوامش :

١ – للمزيد من المعلومات راجع : جبل عامل في العهد الصليبي، اعداد محمد حسن حجازي، رسالة اعدت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ، كلية التربية، حزيران (يونيو) ١٩٧٨، بيروت.

٢ – راجع الرسالة المذكورة سابقاً : الفصل الثامن من القسم الأول : امارات جبل عامل الثلاث.

٣ – الرسالة المذكورة سابقاً، فصل القرى التابعة للبندقية في امارة صور.



من الذي سيسعى إلى السم؟

– وقف لويس جورج رئيس الوزراء البريطاني في الحرب العالمية الأولى يخطب في جمع حاشد، وإذا بسيدة قبيحة تقف وتقاطعه قائلة : «لو كنت زوجي لدسست لك السم. فرد عليها قائلاً : سيدتي لو كنت أنا زوجك لشربت ذلك بسرعة».

أقرب الطرق إلى... المال

– لما نصب معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيداً لولاية العهد أقعده في قبة حمراء. فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال :

– «يا أمير المؤمنين، إنك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها». وكان الاحنف بن قيس المكنى بأبي بحر جالساً، فقال معاوية للرجل :

– جزاك الله عن الطاعة خيراً، فأمر له بألف درهم. ولما خرج الأحنف لقيه الرجل فقال : يا أبا بحر. اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه. ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والاقفال. فلسنا نطمع في استخراجها إلاّ بما سمحت.



تقاليد شعبية: كذبة اول نيسان .. الاصول والوقائع

فكتور سحاب

● المصادر التي تتعاطى تاريخ الفولكلور والمعتقدات الشعبية، تختلف في تحديد الاصل الاول للعادة الشعبية المنتشرة على نطاق واسع في العالم «كذبة اول نيسان» (ابريل)

على ان التفسير الأقرب الى القبول لدى جمهرة المؤرخين إجمالاً، هو ان «كذبة اول نيسان» هي تقليد هندي الأصل. فالهنود يحتفلون بعيد «الهولي» الذي ينتهي في الواحد والثلاثين من آذار (مارس) فيقومون في هذا اليوم بتبادل الخدع ذاتها المعهودة في أول نيسان ويرسل بعضهم البعض في مهمات الى اشخاص وهميين، أو اشخاص غائبين عن بيوتهم، فيضحك الجميع عند اكتشاف الخدعة.

ويقول ر. تشامبرز في كتابه «كتاب الأيام» (١) إنه يكون هذا التقليد منتشراً هذا الانتشار الواسع في العالم، ومع هذا التقارب في تاريخ يومي الاحتفال (الواحد يلي الآخر مباشرة) يتأكد ان هذه العادة قديمة جداً عند الجنس البشري.

غير ان ليوبولد واغنر يعارض في كتابه «عادات وتقاليد وشعائر»(٢) هذه النظرية. نافياً ان يكون أصل عادة الكذب الأبيض في أول نيسان هندياً. وهو يقول ان البحث عن أصل العادة أشغل رؤوس العديد من المؤرخين عبثاً. ويضيف ان العقبة الكبرى التي شوشت على الباحثين دراساتهم في هذا الصدد هي عيد «الهولي» الهندي فقد فاتهم أن الرومان احتفلوا في الفترة ذاتها من السنة بعيد زحل، فيما احتفلت شعوب أوروبا طوال القرون الوسطى بعيد المجانين، وكانت شعوب العصور القديمة تحتفل في هذه الفترة من السنة أيضاً بعيد اعتدال الليل والنهار، الذي كان الفرح خلاله يعم بسبب انتصار الشمس، بعد شتاء كان فيه الرجحان لليل.

ويؤكد واغنر ان تقليد أول نيسان لم ينقل عن عيد «الهولي» الهندي، وان الأصل الحقيقي للتقليد يعود الى سنة ١٥٦٤ الميلادية، حين اعتمدت فرنسا أول كانون الثاني (يناير) رأساً للسنة الميلادية، بدلا من ٢٥ آذار (مارس). فالفرنسيون لم يتخلوا عن أي من العادات الرومانية القديمة التي كانت تقضي بتبادل الهدايا والزيارات في السنة الجديدة.

ولكن ما علاقة هذا بالاول من نيسان؟ يقول واغنر إنه في ذلك العصر الذي كانت فيه سطوة الكنيسة قوية في أوروبا لم يكن من

(٥) مجاز في التاريخ. صحافي.

المعقول ان تجري احتفالات ضاحكة في الخامس والعشرين من آذار (مارس) الذي كان كثيراً ما يصادف أسبوع الآلام، أو حتى في بعض الأحيان الجمعة العظيمة، وهي جميعاً أيام حزن في الطقوس المسيحية. لذلك ارتئي ان يؤجل تبادل الزيارات والهدايا أسبوعا، أي الى الاول من نيسان.

فلما اعتمدت الروزنامة المعدلة أصبحت العادة ان يتبادل الناس الزيارات والهدايا في رأس السنة الجديدة اي الاول من كانون الثاني (يناير). لكن البعض رأى أن يخدع اولئك الناس الذين كانوا ينسون تغيير الروزنامة. فجعل يهديهم الهدايا الزائفة.

واذا كان المؤرخون يختلفون في أيها أصل التقليد، فانهم لايختلفون في حصر اكثر الاصول جدية بين الهند وفرنسا، واستبعاد الاصول الممكنة الاخرى. فتشامبرز يقول[٣] ان كتابات القرن الماضي في انجلترا تتضمن اشارات عديدة الى هذا التقليد، في حين ان مثل هذه الاشارات لا وجود لها قبل ذلك، وقد بدا قدامى المؤرخين الانجليز عاجزين عن تحديد أصل العادة وتاريخ بدء اعتمادها في بلادهم.

أما الكنيسة الكاثوليكية فكانت تحتفل في الثاني عشر من نيسان بيوم الحمار، كما كانت العادة تقضي بالقيام بمداعبات مازحة عديدة في فترة الميلاد. لكن كذبة نيسان لا تنطبق على هذين التاريخين. وثمة من يعتقد أن بدء السنة كان يجري الاحتفال به طوال اسبوع يختتم في أول نيسان ومن هنا أصل التقليد. وفي هذا التقاء مع انصار «النظرية الفرنسية».

ويصل بعض المصادر الى رد هذا التقليد الى التوارة. ففي قاموس الفولكلور والميثولوجيا والخرافات[٤] ان منهم من يعتبر المهمة الفاشلة التي قامت بها الحمامة التي أرسلها نوح من فلكه لاستكشاف اليابسة، هي أصل التقليد، ومنهم من يرده الى عيد روماني، او الى اضطراب الطقس في هذه الحقبة من السنة واحتمال المفاجآت في هذا الشأن، لكن هذه جميعها نظريات لا تحظى بتأييد واسع. في حين ان ستيفنسون يرجح[٥] ان تكون «النظرية الفرنسية» هي الصحيحة.

ليست كذبة وحسب

ما الذي يحدث بالضبط في هذا اليوم؟ الواقع ان الكذبات المقبولة يجب ان تتخذ طابعاً معيناً. وثمة من يضع تحديداً للعبة. فتشامبرز[٦] مثلاً يقول: في هذا اليوم يصبح شاغل عدد كبير من الناس، بخاصة صغار السن، ممارسة عمليات خداع بريئة في حق جيرانهم غير المرتابين. فتسمى الضحية في فرنسا سمكة نيسان أو تسمى في انجلترا أبله نيسان ويحدد تشامبرز ملامح اللعبة اكثر في مكان آخر[٧] إذ يقول ان الهدف الأهم هو مغافلة شخص أو ايهامه بشيء بسيط قابل للحصول لكنه غير صحيح، بحيث يفرض عليه ان يقف مواقف لا معقولة وسط جمع ضاحك من الناس. ويضيف قوله إنه حتى تنجح اللعبة، يجب التحلي بدرجة عالية من برودة الاعصاب والتظاهر بالجدية، كما لا بد من بعض البراعة في معرفة الوجهة التي يكون الضحية ميالاً الى التحرك فيها أكثر من غيرها، وفقاً لميوله ومعتقداته. ويلاحظ ان معظم هذه الألعاب يجري في الصباح. اذ يكون عدد كبير من الناس لم يتنبه الى اليوم بعد، أو لم تنبههم اليه كذبة ما.

ويحذر تشامبرز من ان اختيار هذا اليوم



– «أنظر ما علق بسترتك»... ويلتفت الرجل فيضحك الأولاد

لعقد زواج أو اطلاق مشروع ما، انما يدفع الناس الى عدم التصديق. وقد لا يحضر من يفترض حضوره في مثل هذه المناسبات.

لكن الزواج او المشاريع التجارية او غيرها، هي من جوانب الحياة التي قد يمكن التحكم بتاريخ حدوثها فتؤجل، أما الوضع فليس في الامكان تغيير تاريخه، وليس لتحذير تشامبرز فيه أثر. أنا أعرف مثلاً رجلاً من أقاربي، رزق ثلاث بنات في السنوات الاولى من زواجه. وحملت زوجته للمرة الرابعة. ووضعت في أول نيسان صبياً. غير ان أحدا لم يصدقه حين بشرنا بالخبر، بخاصة لاشتهاره بالمزاح، أكان ذلك في أول نيسان أم في الأيام الثلاثمائة والاربعة والستين الباقية من السنة. وقد احتاج الى كفاءة عالية في الاقناع ومجهود كبير قبل ان ينتهي الجمع الى تصديقه.

وتتراوح كذبات أول نيسان المعهودة في قرى العالم، بين وضع الملح في وعاء السكر والتفرج على النتيجة، وبين دس فئران من المطاط في ثياب الضحية. ومنهم من يلجأ الى عملية استغفال حقيقية، كذلك الأخ الذي يرسل أخاه الأصغر الى ساحة المدينة ليشاهد التمثال الذي سينزل عن قاعدته في ساعة معينة، أو أولئك الفتيات اللواتي يكلفن شاباً بالذهاب الى مكتبة بعيدة لشراء كتاب يروي «قصة حياة جدة سيدتنا حواء»، أو الى صيدلية القرية المجاورة ليشتري درهماً من «حليب اليمام» أو «طوقاً من الزيت». ومنهم من ينبه المارة الى ما هو معلق على ظهر سترتهم، فيستدير الضحية وقد يخلع السترة، وسط الضحكات. أو قد يتلقى شاب ما وريقة من الفتاة التي يحبها (من جانب واحد) تدعوه الى موافاتها في بيتها في وقت معين، فيكتشف أن الوريقة مزورة، ويكون نصيبه تأنيباً وتعنيفاً، في الوقت الذي كان يمني النفس فيه بلقاء طال انتظاره.

كذبات دخلت التاريخ

الا ان كذبات أول نيسان ليست كلها من هذا المعيار. فبعضها دخل التاريخ، ففي فرنسا، البلد الذي قد يكون نشأ فيه هذا التقليد يروى ان فرانسوا دوق لورين وزوجته استطاعا الفرار من السجن في نانت بفضل هذا التقليد. في يوم أول نيسان، تنكرا بثوب فلاحين وحمل هو حوضاً على كتفه، فيما حملت هي سلة نفايات. وخرجا تسلّلاً في الصباح، عبر بوابات المدينة. وصدف ان امرأة تعرفت عليهما، فركضت الى الحرس لاخطارهم. غير ان هؤلاء استقبلوها بالضحك، وأكدوا لها ان تلك ليست سوى كذبة نيسان. فلما وصلت القصة الى حاكم المدينة، تحقق من الأمر، لكنه أيقن اخيراً ان الاوان قد فات وان كذبة نيسان انقذت الدوق وزوجته.

وفي فرنسا ايضاً دخلت كذبة أول نيسان

الحاكم. فقد روي ان امرأة سرقت ساعة ثمينة من بيت صديق في أول نيسان. ولما سيقت الى المحكمة انكرت فعلتها. وأمر القاضي بارسال مجموعة من الجنود لتفتيش منزلها: تنها احضروا الساعــة معهم، ضحكت المرأة وابلغت القاضي أنها كذبة نيسان، وانها نجحت في استغفال الجنود ليذهبوا الى بيتها.

ومن أشهر كذبات أول نيسان، انه في آذار (مارس) ١٨٦٠، تلقى عدد كبير من الناس في لندن بطاقة بريدية على أعلاها خاتم هو عبارة عن رسم مقلوب لقطعة الستة بنسات، مما يضفي طابعاً يبدو رسمياً، على البطاقة، وتحت الخاتم الكتابة التالية:

«برج لندن-الرجاء قبول حامل هذه البطاقة مع صديقه في الاحتفال السنوي لمناسبة غسل الأسود البيض، يوم الأحد، اول نيسان، ١٩٦٠. الدخول فقط من البوابة البيضاء. يرجى من المدعوين بالحاح عدم توزيع البقشيش على النظار او مساعديهم»، ويقال ان اللعبة نجحت نجاحاً كبيراً. فقد شوهد في ذلك اليوم عدد كبير من العربات تدور حول برج لندن للعثور على البوابة البيضاء، التي لا وجود لها.

السمكة والأبله

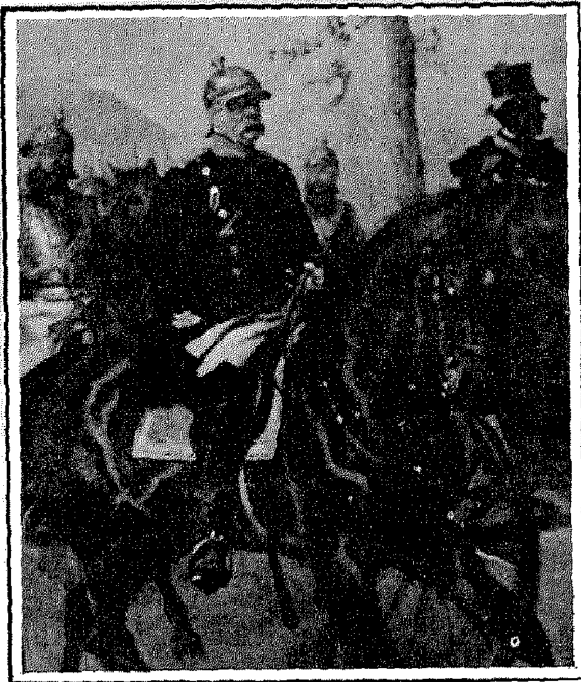
وانجلترا على ما يقول المؤرخون لم تتعرف على هذا التقليد الا في القرن الثامن عشر. واذا كانوا هناك يطلقون على الضحية اسم «أبله نيسان» فليس من داع لشرح هذه التسمية. وهي على كل حال مماثلة للتسمية المعتمدة في اسكوتلندا. أما في فرنسا فيقال للضحية انه «سمكة نيسان» بالنظر الى كونه مثل السمكة، سمح للآخرين بأن يصطادوه. واسبانيا تحتفل أيضاً ببلهاء نيسان. وهذا اليوم يتمتع بشعبية واسعة ايضاً في ايطاليا والبرتغال والسويد. ولا تكتفي المانيا والنروج بيوم اول نيسان، بل تمارس عادات مماثلة في آخر نيسان أيضاً.

أما في المكسيك فان الكذب الابيض مباح في يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر)، لكن الكذب فيه يتركز على استعادة اشياء. والعادة تقضي بأن يفقد صاحب الشيء حقه في استعادته إذا ما غفل عن اليوم، وأعار شيئاً لطالبه. وبدلاً من إعادة المعار، يتلقى صاحبه علبة حلوى وقصيدة تذكره بأنه استغفل في ذلك اليوم.

الهوامش

(1) R. Chambers: "the book of days", p.462.
(2) Leopold Wagner: "Manners, customs and observances", p.255.
(٣) راجع الحاشية الأولى.
(4) Funk and Wagnalls company. Newyork,: "The Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend, Vol.1, p.36-37.
(5) Mary E Hazeltine,: "Anniversaries and Holidays", p.59.
(٦) حاشية رقم واحد، المصدر نفسه ص ٤٦٠
(٧) حاشية رقم واحد، المصدر نفسه ص ٤٦١.





بسمارك رائد الوحدة الالمانية

عايدة سليمان نعمان

في الثاني من نيسان ابريل ١٨١٥ ظهر في احدى صحف برلين الاعلان التالي: «اتشرف بأن اعلم الاصدقاء ان زوجتي قد وضعت ابنا نهار الامس واني اعذرهم من مشقة تقديم التهاني لنا» غير ان الاعلان لم يذكر ان اسم الصبي هو «اوتو فون بسمارك».

كتاب الان بالمر عن بسمارك يقول عنه كاتبه في المقدمة انه ليس دراسة فقط عن الرجل الذي صنع الوحدة الالمانية ووجه السياسة العالمية بشكل او آخر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن هو ايضاً دراسة تفصيلية تعنى بأبراز وجه الانسان المظلل بوجه السياسي البارز. ليس هذا بالعمل السهل اذ ان افراداً كبسمارك، ودون إرادةٍ منهم يتحولون الى مؤسسة قائمة بذاتها فتصبح مميزاتها الانسانية باهتة الملامح. ولكن المؤلف يستعين بالكثير من التفاصيل وخاصة بالكثير من الرسائل والاحاديث الخاصة التي نقلت عن بسمارك.

لم يكن في طفولة بسمارك ولا في شبابه المستهتر ما يستشف منه عن مستقبل سياسي وعسكري تاريخي: ميل واضح للاسراف، كبرياء متعجرفة وشديدة الالتصاق والمباهاة بالانتماء الى طبقة الملاكين الكبار. وحتى في بداية دوره السياسي يبدو بوضوح انتماء بسمارك الى اليمين المحافظ وتخوفه الدائم من طغيان الافكار الليبرالية فيبرز هذا الميل المتحفظ والمحافظ في خطبته الاولى في مجلس الولايات في ٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٧ اذ وصف فيها بأنه «من الخطباء القلائل الذين قتلوا وجهة نظر الحكومة والملك بشكل خاص» ولكن الملك لم يكن ليعترف ببسمارك وليقربه اليه قبل وقت طويل من هذا التاريخ. حين كلف الملك فريدريك وليم الكونت براندنبرغ بتشكيل حكومة جديدة ساد الشعور بأن بسمارك سيكون عضواً فيها. غير ان الملك بالذات استبعد الامر واصفاً بسمارك بأنه: «رجعي أحمر.. تفوح منه رائحة الدم.. سنحتاج اليه في المستقبل».

لم تكن الوحدة الالمانية مثار جدل بالنسبة لبسمارك: «وحدة المانيا هي مطلب كل من يتكلم بالالمانية. غير اننا جميعاً نسعى لتمكن النسر البروسي من أن يمد جناحيه على كل المانيا» لذا قيل ان توحيد المانيا ليس سوى خدعة استعملها لتتحكم بروسيا بباقي الولايات الالمانية. وهاجمه الليبراليون سنة ١٨٤٨ واصفين خطبه وأفكاره «بوضوح المشاعر الرجعية فيها» حتى انه خشي ان يفقد مقعده في اللندتاغ لشدة الحملة المعادية له.

لم يساور البروسيين ادنى شك في ان مجيء بسمارك كرئيس للحكومة في ايلول (سبتمبر) ١٨٦٢ هو اقتراب من الحلول العسكرية لمشاكل المانيا. هو نفسه لم يترك للشك مكاناً. ففي خطبته المشهورة في البرلمان والتي طبعت سنوات حكمه. قال «ان بروسيا يجب ان تجمع قواها وتحتفظ بها لليوم المناسب الذي طالما تأجل هباء. ان الاسئلة الكبرى لا اجوبة لها في الخطب الرنانة ولا في صناديق الاقتراع... وانما

بالحديد والدم» وما إن ذاعت خطبته تلك حتى تساءل الملك اذا ما كان اخطأ في تعيينه واذا ما اخطأ في عدم الاصغاء ولو مرّة لزوجته وابنه اللذين لم يخفيا معارضتهما الشديدة وعداءهما لبسمارك.

تسلم بسمارك للحكم ولد العديد من المواقف والمشاعر المتضاربة. الليبراليون البروسيون قابلوا تعيينه بالكثير من البرود ولا شيء من الحماسة بسبب تقييمهم السابق له:

«محافظ واقطاعي» المحافظون بدورهم كانوا شديدي الحذر لأنه «كثير الدهاء». المتدينون علقوا بقولهم: «ليته يدرك ان وصايا الرب تطبق ايضاً في الحياة السياسية والدبلوماسية». هذا في الداخل، أما في الخارج فقد كان الروس في غبطة، والفرنسيون ساورهم الشك في المستقبل، والانكليز في موقف عدائي واضح.

في قراءة تفصيلية لاحقة للدور التاريخي لبسمارك يبدو واضحاً ان الفرقاء المذكورين آنفاً لم يكونوا على خطأ في مشاعرهم. فلتوحيد المانيا – هدفه الاول والاخير – إقتنص بسمارك الكثير من فرص التفكك والضعف لدى جيرانه فاقتضم المقاطعات الالمانية واحدة تلو اخرى. حتى ان الدول الاوروبية باتت تتساءل إذا ما كانت شهية هذا البروسي ستتوقف عند حدٍ.

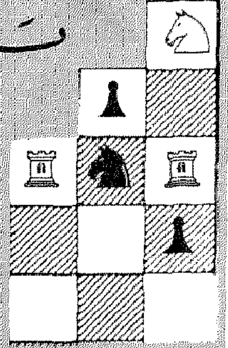
لنعد الى شخصية بسمارك الذي يصر الكاتب على القاء الاضواء المتلاحقة عليها. شخصية شديدة التناقض: كثير العجرفة والقسوة، لا يرحم أعداءه، وفي احيان اخرى يتساءل بحزن امام زائريه: «لا شك انني سببت الكثير من الاحزان لعدد وافر من الناس. لولاي لما وقعت حروب ثلاث ولما قتل ثمانون الفاً من الشبان ولما رأيت كل هذا العدد من الثكالى والارامل» صحته كثيرة التقلب، وكذلك نفسيته، تبرحه آلام رجله ومعدته فيقعد أياما عن الحركة. وأمام اول تحدٍ يهب للعمل كذئب شرس يزهد في السلطة احيانا ويراوغ بدهاء للإحتفاظ بها. يمنح القضايا القومية كل صحته وجهده وأعصابه وبكل انانية يحاول جهده ترتيب وضع سياسي يمكن ابنه المدمن من تولي الحكم أو أية سلطة بعده.

في حياته الخاصة يستدعي الانتباه علاقته بزوجته جوهانّا. لم يكن زوجا عطوفاً ومحباً بالمعنى التقليدي ولكن خيطاً صلباً من المودة والصراحة كان يربطهما. ما يثير العجب انه كان يطلعها على كل اسرار حياته السياسية وبكل تفاصيلها. كتب لها يوماً: «ان الاكاذيب التي يختلقها الديمقراطيون عني لا تصدق... أمس التقيت فلاحاً من شونهاوزن اخبرني ان مجرد ذكر اسمي يبعث الخوف والقشعريرة لدى الفلاحين. وانت تعلمين مدى طيبة قلبي» وحين زار «فرنبخ» في النمسا كتب الى جوهانّا ايضاً: «أمضيت الاربعاء والخميس بصحبة العجوز «فرنبخ» لقد كان بالغ اللطف معي واحاديثه لا تنتهي عن السياسة والكروم والأدب والغابات. أصغيت اليها جميعاً. وكنت استحثه للمزيد .... كما ترين لقد كان حديثاً من طرف واحد». وحتى في سنوات زواجه الاولى حين وقع في حب الحسناء كاترين اورلوف الروسية وحين كان يمضي اجازته بقربها في منتجع اسباني كان يكتب الى زوجته مخبراً اياها بتفاصيل سعادته ومرح الايام التي يمضيها. وهناك امرأة اخرى كان لها التأثير الاكبر عليه وهي شقيقته ميلواني. ولكن يبقى لجوهانّا الدّالة الكبرى اذ كتب احد التقارير للملكة فكتوريا عنها يقول: «ان السيدة جوهانّا فون بسمارك ليست ذات جمال... ولكن تأثيرها في أفراد عائلتها لا يقاوم».

تاريخ بسمارك تاريخ دولة بل تاريخ قارّة. ولكن الرجل بالذات بدأ أفوله بموت فريدريك الاكبر وحين تبوأ حفيده فيلهلم الثاني العرش قال لاخصّائه «سوف امنح هذا العجوز ستة اشهر ليلتقط انفاسه... بعدها سوف أحكم بنفسي». وبالفعل أمضى بسمارك السنوات الأخيرة في مزرعته بعد ان اضطر للاستقالة. وحين مات بسمارك عام ١٨٩٠ لم تمت معه البسماركية، اذ ان الان بالمر وغيره ممن سبقوه في الكتابة عن بسمارك رأوا في طموحات المانيا العسكرية في النصف الاول من القرن العشرين مجرد تطور طبيعي لطموح ذلك السياسي الداهية وتكملة لها.

PALMER, ALAN, "BISMARK", LONDON. WEIDENFELD AND NICOLSON, 1976

تاريخ الشطرنج



شارلمان

دهم زوجته مع المستشار فحكم عليه بالانتصار او... الموت

محمد مراد بكر

فرنسا:

■ أقدم إشارة الى الشطرنج في تاريخ فرنسا ترجع الى عهد بيبان PEPIN والد شارلمان Charlemagne ويعود ذلك الى سنة ٧٦٤م أي السنة الثانية عشرة من عهده، اثناء احتفال قدم فيه هدية الى الابرشية وكانت تحوى كمية من الاحجار الثمينة، ومن الذهب ولعبة شطرنج، ولم يكن الشطرنج معروفا وقتذاك في اوفيرني Auvergne

ويقول الدكتور دونكان فوربس ان الفنون لم تكن متقدمة، لذا لم يكن الصناعيون من المهرة بحيث يستطيعون صنع شطرنج من الكريستال وبهذه الدقة، لذلك يضيف الدكتور دونكان ان الشطرنج هذا لا بد وان يكون هدية آتية من الشرق الى الملك بيبان سنة ٧٥٧م، ويظن أنها هدية كونستانتين كوبرونيم Constantin-Copronyme حاكم القسطنطينية (استمبول حاليا) وكانت ضمن الهدايا الثمينة التي ارسلها ومن ضمنها الأرغن وهو الاول الذي عرفته فرنسا.

ويقول مؤرخو الشطرنج، انه تم في عهد شارلمان (شارل الاول ملك فرنسا ولد سنة ٧٤٢م، امبراطور الغرب سنة ٨٠٠م، توفي سنة ٨١٤م) إدخال الشطرنج الى فرنسا. وقد أولع به الجميع، وكان على كل نبيل ان يعرف الشطرنج ليدخل البلاط. وكان الامبراطور، كما يقول مؤرخو عهده، مولعا به جداً (راجع قصص الطاولة المستديرة).

وجاء في قصص الراهب دي سان دنيس التي كتبها ج. دوبليه J. Doublet ص ٣٤٢ و١٢١٣ ان ابرشية سان دنيس تحتفظ في ابرشيتها بعدد من قطع الشطرنج أهداها لها شارلمان. القطع والرقع من العاج عليها بعض الكتابات العربية وهي هدية من الشرق (من هرون الرشيد) ومن المؤسف أن هذه القطع قد ضاع معظمها ولم يبق إلا قطعة واحدة محفوظة في احد المتاحف في بريطانيا. وتذكر هذه الهدية مخطوطة قديمة محفوظة في المكتبة الملكية، وانها اصلا كانت مؤلفة من ١٦ قطعة متنوعة من العاج دعيت قديما شطرنج شارلمان، وهي هدية من الخليفة هرون الرشيد الى هذا الامبراطور، كتب على قطعة منها بالعربية،

صنع يوسف النقالي من قبيلة البهايلي. وقد ضاعت كل القطع وبقيت هذه القطعة التي وضعت مع خمس عشرة اخرى صنعت فيما بعد وهي حتما ليست لنفس الشطرنج، ويظهر انها بيزنطية تعود الى القرن الحادي عشر بينما القطعة الاولى صنعت في آسيا في القرن الثاني للهجرة الموافق القرن التاسع الميلادي، وهي تمثل فيلا يحمل على ظهره قلعة وعلى سطح القلعة ملك هندي جالس على الطريقة العربية (متربعا) يحمل على رأسه تاجا محلى بالجواهر وعقدا واسورة. وعلى جوانب سطح القلعة يقف ثمانية محاربين (حراس الملك) السيف بيدهم والترس في ذراعهم، وعلى رأس الفيل فارس يقوده، وفي الهواء رجل قذفه الفيل بينما يحمل خرطوم الفيل حصانا مع فارسه. وعلى القاعدة التي تحمل الفيل أربعة فرسان محاربين يحملون السيوف والبلطات وكلهم متوجون. وعلى القاعدة كتابة عربية بالخط الكوفي أكلها الزمن فصعبت قراءتها.

ويروى عن شارل الثالث ملك فرنسا، انه منع في سنة ١٤٨٥ المساجين عن لعب الزهر، وسمح فقط للمساجين من طبقة معينة الموقوفين لأسباب بسيطة مدنية بلعب طاولة الزهر والشطرنج.

كما يروى فيرار سنة ١٥٠٠، ان الأمير شارلو ابن شارلمان كسر رأس بودوان Baudoin إبن اوجيه Ogier بقطعة من الشطرنج، فسبب حربا بين الطرفين دامت سبع سنين. وتفصيل القصة، أن بودوان كان يبذل جهده لارضاء شارلو، وكان الأمير الصغير يحب الشطرنج ولا يحسنه وكان بودوان الشاب يربح الجولات باستمرار، وفي أحد الأيام خسر شارلو جولتين متتابعتين وظن في الجولة الثالثة أنه بعد أسر قطعة يستطيع أن يميت شاه خصمه، ولكن القطعة التي أعطاها بودوان لم تكن الا فخا نصبه للأمير فخسر الجولة ويظهر أنه ظهرت دون انتباه على وجه بودوان ضحكة مستترة أغضبت الأمير، فاستشاط غيظا وقام الى الرقعة الثقيلة يحملها (وكانت مصنوعة من الذهب)، ويضرب بها على رأس بودوان الذي وقع قتيلاً لتوه في الغرفة بعد أن شج راسه، وجزع شارلو أمام جريمته. وخوفا من غضب اوجيبه والد بودوان، ذهب يحتمي بقصر أبيه شارلمان. وتتطور الأمور، وتبدأ حرب بين الطرفين دامت سبع سنين.

القصائد

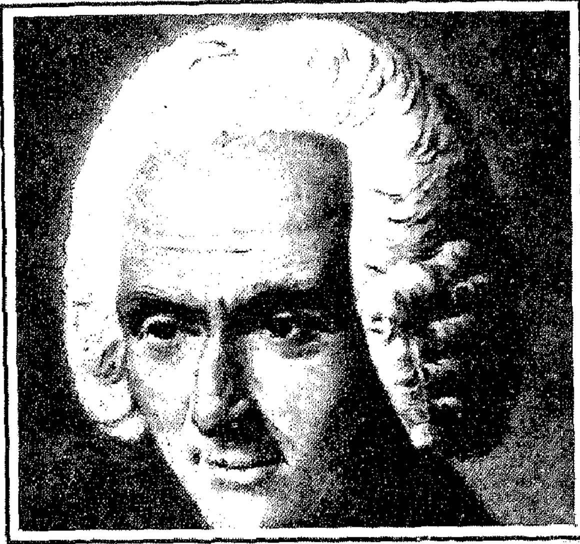
الشعر الفرنسي القديم مليء بالقصائد التي تذكر الشطرنج اما مباشرة واما ضمن قصص قديمة، ولعل أجملها قصة فلور وبلانش فلور وهي قصيدة شهيرة تعود الى القرن الثاني عشر مستوحاة من القصص اليونانية والشرقية، فيها الكثير من الفروسية والعادات الشرقية، ويصعب تحديد وقائع هذه القصة التي يرويها الشاعر، ولكنها على ما يظهر ترجع الى زمن البابليين مع بعض التغيير وتفصيل القصة ما يلي:

طفلان ولدا في يوم واحد، احدهما صبي يدعى فلور أو فلوار، وهو ابن ملك. وطفلة تدعى بلانش فلور وهي ابنة اميرة مسيحية اذلها الاسر فاستعبدت. وقع فلور صريع حب بلانش فلور. فخاف ابوه من عواقب هذا الحب، فقام بابعاد الصبية وذلك ببيعها الى بعض التجار الغرباء. ولكن الحب كان قد استبد بفلور فلم يعد يطيق فراقا حتى هزل جسمه، مما دعا الوالد للبحث عن الصبية بلانش فلور. وقاده البحث الى بابل حيث علم الولد أن حبيبته مسجونة في السودان في قلعة لا يستطيع أحد أن يصل اليها دون

التعرض لخسارة حياته. ولكن فلور استطاع بواسطة الشطرنج ان يصل الى حارس القلعة، وبعد مغامرات متعددة استطاع الحصول على حبيبته بلانش فلور.

وهناك رواة كثيرون لهذه القصة، ولكن اقدم هذه النصوص كتب بالفرنسية ويعود الى أوائل القرن الثاني عشر، وقد اعيدت كتابة هذه القصة سنة ١٨٤٤ في برلين. وقد نالت القصة هذه شهرة كبيرة في المانيا واسبانيا في القرنين الثاني والثالث عشر وقد أعاد كتابتها بالفرنسية جاك فانسان سنة ١٥١٢ وظهرت القصيدة مرة اخرى سنة ١٥٥٤ في ليون، ثم سنة ١٥٧٠ و ١٥٧١، ثم في سنة ١٥٩٧ في روان واخيراً سنة ١٨٥٩ في باريس وقد ترجمت الى الايطالية.

قصة اخرى شبيهة بقصة يوسف وامرأة فرعون هي قصة كاران دي مونغلان ابن الدوق ايمرى الذي تنازل عن القابه ليلتحق بشارلمان الذي اعجب بلياقته واناقته والحقه بالقصر ثم ما لبث ان اصبح مستشاره وكاتم أسراره. ويظهر أن الامبراطورة هامت به دون علمه، فقد قامت يوما بدخول منزل كاران لتبثه عواطفها. وهنا تتكرر قصة يوسف، فقد دخل في تلك اللحظة شارلمان ليرى امرأته في هذه الحالة التعيسة بأم عينه، ولم تخف الأمبراطورة حبها للشاب عن الامبراطور بل ركعت على قدميه ليسمح لها بوصاله، وبالطبع لم يستجب الامبراطور لنداء ورجاء زوجته وقرر الانتقام من كاران. وعلم اصدقاء الأخير بما يضمره الامبراطور فحذروه، وهكذا قرر الابتعاد عن القصر، ولكن غيابه لم يطل اكثر من ثلاثة أيام بعد تدخل المصلحين. فالذنب ليس ذنبه وبناء على طلب الامبراطور ذهب للقصر فافهمه الامبراطور أنه لن يصفح عنه الا إذا غلبه بالشطرنج. واستطاع كاران



جان جاك روسو

ان يهزم الامبراطور الذي لم يغفر له فحسب بل قربه أكثر اليه.

هذه القصيدة وضعت نثراً في القرن الخامس عشر وقامت مجلة البلاميد (تخصصت بالشطرنج) بتحليلها سنة ١٨٣٦.

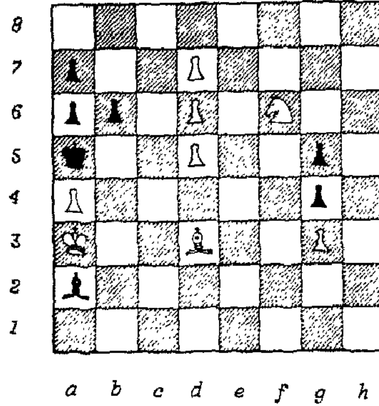
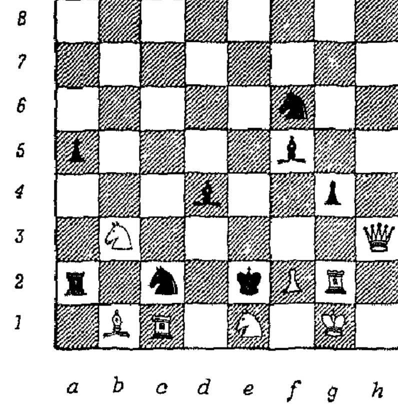
أما الكتب التي شرحت عن الشطرنج وتعمقت به في القرن السادس والسابع والثامن عشر فأكثر من ان تحصى ولعل أعمقها ما كتبه فيليدور وفيليب ستاما وغيرهما.

النوادي

في نصف القرن الثامن عشر، أسس فرانسوا بروكوب وهو صقلي المولد مقهى أصبح بعد تأسيسه مكان التقاء للاعبي الشطرنج، وفي هذا المقهى بالذات ولد اول ناد للشطرنج في فرنسا وكان مؤسسوه، بيرون، جان جاك روسو، ديدرو وفيليدور، وكان فولتير من رواد هذا النادي. وقد التف حول المؤسسين في هذا النـادي أغلب محترفي الأدب. ولما كثر عـددهم، تركـوا هـذا المقهى الى مقهى الريجانس و هو الأشهر في تاريخ الشطرنج الفرنسي زواره كبار مثل ميرابو، دانتون، روبسبيير، باريز وغيرهم ثم تفرق اللاعبون ...

الجزء الثاني في العدد المقبل

المسابقة رقم ٦

المسألة رقم ١٢	المسألة رقم ١١
	
مات بثلاث نقلات	مات بنقلتين

حل المسابقة رقم ٤

المسألة رقم ٧ : المفتاح : 1 — Fx h6

المسألة رقم ٨ : المفتاح : (١) 1 — Th — h6 d6
2 — Tb4
xxxxxxx

أو (٢) 1 — d5
2 — Ra2
xxxxxxx

أو (٣) 1 — Fg6
2 — TxF

الحلول التي أتتنا عديدة جداً ولكن أغلبها حل للمسألة الثامنة فقط . أما المسألة السابعة فيظهر أنها صعبت على الجميع باستثناء السيد سليم اللادقي – ص ب ٢٥٥١ من بيروت الذي فاز بالجائزة الأولى وحجبت بقية الجوائز لهذا الأسبوع لعدم وصول حل صحيح بأكمله . فنهانينا للسيد سليم اللادقي .

مسابقة الشطرنج

يرسل الحل الصحيح مع القسيمة إلى إدارة المجلة ص ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف « مسابقة الشطرنج » . يجب أن يصل الحل قبل نهاية كل شهر وفي حال التأخر يعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للإرسال .

تاريخ الطوابع

فلسطين من السلطنة إلى الانتداب... فالنكبة

بسام اسطفان

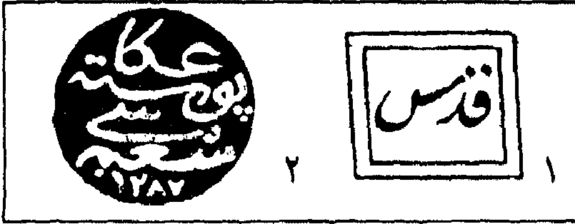
■ قبل أن نذكر تاريخ الطوابع البريدية في فلسطين، لا بد لنا من أن نذكر ولو بإختصار تاريخ هذا البلد العريق بتراثه وأمجاده.

فلسطين على طول ساحلها على شاطئ المتوسط كانت لستة قرون ونيف، وحتى سنة ٦٣٤ ميلادية (أو ١٣ هجرية)، الأراضي المقدسة لليهود والمسيحيين. وكانت مسرحاً لجميع أحداث الكتب المقدسة في العهدين القديم والجديد بدءاً من موسى النبي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القديس يوسف في القرن الأول للميلاد. وفي بيت لحم، أي في فلسطين كان مولد السيد المسيح الحدث الأعظم الذي أصبح منطلقاً للتاريخ تُحدَّد بالنسبة إليه الأحداث السابقة أو اللاحقة للميلاد.

إحتل الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا فلسطين سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وبعد وفاته حكم خلفاؤه البلاد وهم بطليموس حاكم مصر وَسلوقس وذلك من سنة ١٦٨ إلى ١٤١ قبل الميلاد يوم ثار اليهود بقيادة يهوذا المكابي وإخوانه، وحرروا القدس وأعادوا تأسيس أرض يهوذا، يرأسها ملوك كَهَنَة.

وسنة ٦٣ قبل الميلاد ألحق الملك بومبايوس فلسطين بروما، وبنهاية مدة الولاية سنة ٤٠ ق.م. عيَّن مجلس النواب الروماني هيرودس ملكاً على يهوذا. وفي سنة ٤٤ م. عادت فلسطين إلى الحكم الروماني المباشر.

وأثناء ثورة اليهود الكبرى سنة ٦٦ م التي توسعت فانقلبت إلى حرب مريرة إستولى تيطوس على القدس سنة ٧٠ فهدم هيكل سليمان وتشتت اليهود تشتّتهم العظيم وانتشروا في أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأدنى، وسُمي هذا التشتت «دياسبورا» ثم تمادى بعدئذ حيث إنتشر اليهود في جميع أنحاء المعمورة.

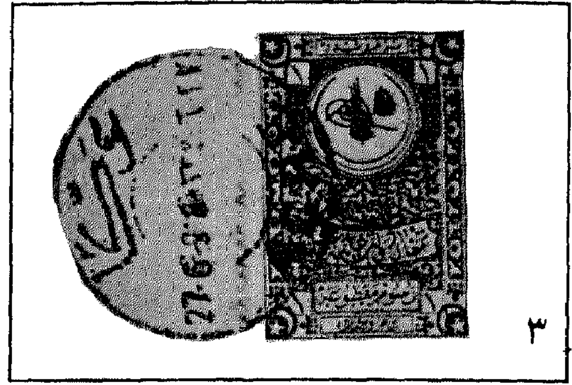


١ ٢

عندما انشقت الأمبراطورية الرومانية سنة ٣٩٥، أصبحت فلسطين جزءاً من الأمبراطورية الرومانية الشرقية، أي الأمبراطورية البيزنطية؛ وفي سنة ٦١١ بعد فترة طويلة من السلام غزا الفرس فلسطين فهدموا كنيسة القيامة في القدس لأول مرة. لكن البيزنطيين ما لبثوا أن إستعادوا فلسطين سنة ٦٢٨، فاذا بالجيوش العربية بقيادة عمر ابن الخطاب تُخرج فلسطين من سلطة هيراكليوس سنة ٦٣٦ وتمنحها السلام النسبي لفترة من الزمن.

كانت القرون الأربعة التي تلت مشحونة بالخلافات بين زعماء المسلمين وقادة الرأي فيهم، فضعفت هيبتهم وذهبت ريحهم وطمع فيهم المتربصون للإستيلاء على السلطة، فغزا السلجوقيون الأتراك البلاد واستولوا على فلسطين.

كما أن الافرنج لم يكونوا أقل طمعاً من غيرهم في الإستيلاء على الشرق وخصوصاً



٣

فلسطين، فنظموا حملاتهم المتكررة التي عرفت بالحروب الصليبية والتي لم يصل منها إلى فلسطين غير الحملتين الأولى والسادسة.

إستولى الصليبيون على القدس بقيادة غودفروا دي بُيّون في سنة ١٠٩٩، وأسست مملكة القدس برئاسة ملوك فرنسيين؛ وبعد نحو من قرن على أثر معارك طاحنة مع الصليبيين، حرر صلاح الدين الأيوبي القدس من سنة ١١٨٧ حتى سنة ١٢١٧، إلى أن أبرمت المعاهدة بين الأمبراطور فريدريك الثاني وسلطان مصر، على إقامة دولة القدس المسيحية التي دامت من سنة ١٢٢٩ إلى سنة ١٢٣٩، لكن قتالاً تجدد بعدئذٍ فكانت سلطة الصليبيين بين مدٍّ وجزر على طول الساحل الفلسطيني حتى عكا في الشمال، وأخيراً تقلّص ظلّهم تماماً سنة ١٢٩١.

دخلت فلسطين تحت حكم المماليك سلاطين مصر من سنة ١٢٦٠ إلى ١٥١٦ عندما إحتلتها القوات التركية التي بقيت فيها نحواً من ٤٠٠ سنة. ومع أن سليمان القانوني أعاد بناء أسوار القدس سنة ١٥٣٧، فإن فلسطين لم تكن في سعةٍ وازدهار حتى سنة ١٨٤٠، يوم شددت الحكومة العثمانية يدها عليها عقب أزمة إقتصادية مُضنية وحركات تململ ثورية قامت بين أفراد الشعب. عندئذٍ بدأت أوروبا وأمريكا تظهران إهتماماً متزايداً بالأراضي المقدسة وقامت هناك مؤسسات دينية كاثوليكية وأرثوذكسية، وتوافر لزيارة القدس وبيت لحم والناصرة وفرة من الزوار والسيَّاح؛ كما أن مستوطنات صهيونية زراعية بدأت تنشأ في بعض المناطق. وفي سنة ١٨٩٦ أصدر تيودور هرتسيل الصحفي النمساوي اليهودي نشرة يقترح فيها تأسيس ولاية يهودية في فلسطين. ثم في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٤ أعلنت تركيا الحرب بتحريض من ألمانيا على بريطانيا التي تمسكت بمصر. ودخلت سيناء متغلبة على الجيش التركي. وفي شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٧ أخذت مركزاً لها في غزة. وفي ٣١ تشرين الأول سنة ١٩١٧ إحتدمت المعارك بين الفريقين. وفي ٩ كانون الأول (ديسمبر) إستولت بريطانيا على القدس.

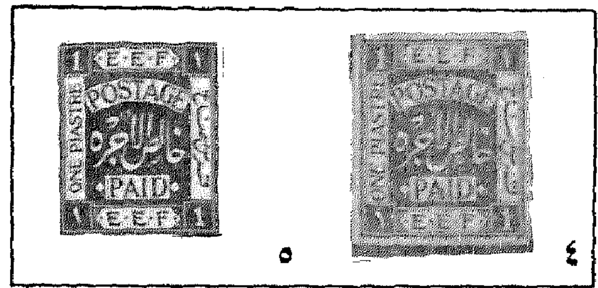
وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ كان السير أ. ج. بلفور البريطاني (أصبح لورداً فيما بعد)، قد صرح بأن الحكومة البريطانية توافق على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

تاريخ الطوابع —

حكم العثمانيون فلسطين من سنة ١٥١٦ إلى ١٧٥٠، فظاهر العمر من سنة ١٧٥٠ إلى ١٧٧٥، فالعثمانيون من سنة ١٧٧٥ إلى ١٨٣٢، فمحمد على الكبير وأسرته من سنة ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠، فالعثمانيون من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٨.

كان البريد في عهد السلطنة العثمانية. وقبل ظهور الطوابع العثمانية سنة ١٨٦٣ يخلّص بدون طوابع بل بأختام نحاسية مختلفة تحمل إسم البلد باللغة التركية (صورة رقم ١)؛ ثم بأختام مربعة وبيضاوية (صورة رقم ٢) وبعدها بأختام مستديرة أو مسدسة مختلفة تحمل إسم المصدر والتاريخ (صورة رقم ٣).

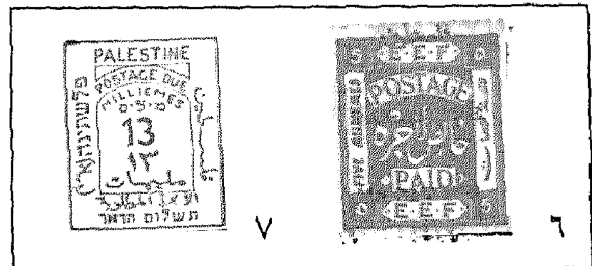
إنتشرت هذه الطوابع التركية في فلسطين شأنها في جميع الأراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية إلى جانب طوابع المكاتب الأجنبية التي أشرنا إليها في أعداد سابقة من هذه المجلة. وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة



٥ ٤

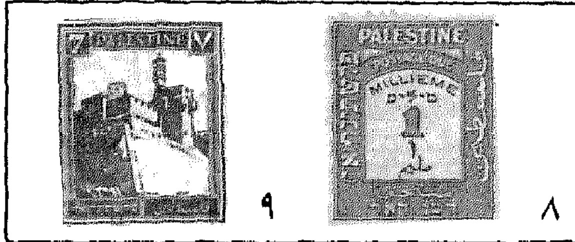
١٩١٨ تاريخ دخول القوات الإستطلاعية المصرية التابعة لجيوش الحلفاء التي إحتلت في شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٧ جنوب فلسطين، ثم القدس بتاريخ ٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ وأنهت إحتلال جميع أراضيها خلال سنة ١٩١٨؛ فتوقف إستعمال الطابع العثماني أولاً ثم طوابع المكاتب الأجنبية التي أقفلت سنة ١٩٢٣ على أثر معاهدة لوزان.

وبتاريخ ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩١٨ أصدرت السلطات العسكرية البريطانية ١٥ طابعاً للتخليص على البريد، منها طابعان فئة قرش واحد وطابع موشح ٥ مليم على قرش واحد، طبع على ورق غير مصمّغ. وطابعان آخران من الفئات نفسها ولكن بألوان مختلفة وعلى ورق مصمّغ، طُبعت بمطابع دائرة المساحة المصرية في الجيزة بمصر، وكتب عليها «خــــــــــالص الأجرة» و« E.E.F. POSTAGE PAID » (قوات إستطلاعية مصرية أجور البريد مدفوعة) (صورة رقم ٤)، وكانت فئة ٥ مليم للتخليص الداخلي وفئة القرش الواحد للخارجي. ثم أصدرت مجموعة مؤلفة من ١١ طابعاً من فئة مليم واحد إلى ٢٠ قرشاً (صورة رقم ٥) كلها مخرّمة طبعت بمطابع بريطانية في لندن وكانت لإستعمال السكان المدنيين في



٧ ٦

أراضي العدو المحتلة، بما في ذلك أجزاءٍ كبيرة من بلاد آسيا الصغرى، مثل سورية وكيليكية والأردن وشمال مصر. وبقيت هذه الطوابع قيد الإستعمال حتى أول أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠، تاريخ تسليم البلاد للأدارة البريطانية المدنية، التي أصدرت أول مجموعة من ١١ طابعاً موشحاً بكلمة فلسطين بثلاث لغات، العربية والإنكليزية والعبرية. (صورة رقم ٦) تلت هذه المجموعة خمس مجموعات بريدية مؤلفة من ٤٨ طابعاً ومجموعة واحدة أجور مستحقة من خمسة طوابع (صورة رقم ٧). والجدير بالذكر أن جميع هذه المجموعات الخمس كانت كلها متشابهة من حيث المظهر وكلها توشحت باللغات الثلاث، ولكن في



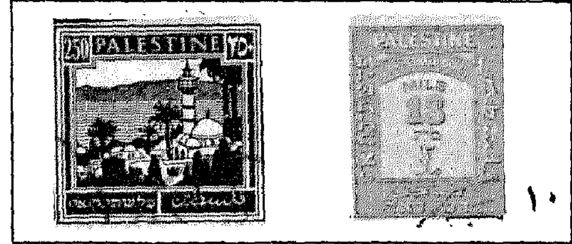
٩ ٨

كل مرة كانت الأحرف تتغيَّر، وكذلك دور الطباعة بحيث أن التوشيح الذي جرى للمجموعات الأولى والثانية والثالثة كان محلياً، أما المجموعتان الرابعة والخامسة فقد جرى توشيحها في دارتين مختلفتين للطباعة في لندن.

وبموجب معاهدة لوزان لسنة ١٩٢٣ المعروفة، تخلت تركيا عن فلسطين وأصبح إنتداب بريطانيا العظمى على البلاد المعطى من قبل عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ ساري المفعول إبتداءً من ٢٩ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ واستمر حتى ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨.

أما الطوابع التي صدرت في عهد الإنتداب الرسمي فكانت الأولى في أول كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤ وهي مجموعة أجور مستحقة مؤلفة من ستة طوابع (صورة رقم ٨) ثم في أول حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٧ صدرت المجموعة الأولى التي تظهر مناظر دينية (صورة رقم ٩) مؤلفة من ١٤

طابعاً بريدياً من ٢ مل إلى ٢٠٠ مل. وفي أول شباط (فبراير) سنة ١٩٢٨ صدرت مجموعة أجور مستحقة من ٩ طوابع (صورة رقم ١٠) ثم ثماني فئات أخرى تكمل المجموعة المصورة الآنفة الذكر، صدرت إبتداء من أول حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢ وإلى ١٩٤٤ وبفئات كبيرة منها ٢٥٠ و٥٠٠ مل وجنيه واحد (صورة رقم ١١). وفي ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ إنتهى إنتداب بريطانيا على البلاد وانسحبت تاركة في الإستعمال الطوابع المتبقية في دوائر البريد المختلفة في جميع أنحاء البلاد، إلى أن صدرت الطوابع الأردنية في الشهر الأخير من السنة نفسها كما سنذكره لاحقاً.

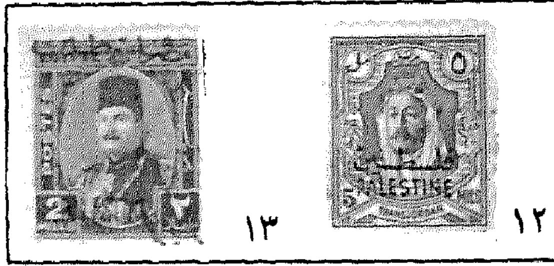


١٠

إغتنم اليهود إنسحاب بريطانيا وأعلنوا حكومة إسرائيل، وفي اليوم التالي إجتازت القوات الأردنية (فرقة الزنار الأحمر) نهر الأردن ودخلت فلسطين، وقبل إعلان الهدنة في ٣ نيسان (أبريل) سنة ١٩٤٩، تمكنت هذه القوات من السيطرة على القدس القديمة وشمالاً على جنين وطولكرم وقلقيلية واللطرون، وجنوباً على بيت لحم والخليل والضواحي.

وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨، وشحت الأردن الطوابع التي تحمل صورة الملك عبد الله بكلمة «فلسطين» بالعربية والإنكليزية (صورة رقم ١٢). وفي ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٠ توحدت فلسطين مع الأردن وأصبحت الطوابع الأردنية تستعمل في كلا الضفتين. وبعد حرب سنة ١٩٦٧ المشؤومة إنسحب الأردن من الأراضي الفلسطينية.

والجدير بالذكر أن الجيوش المصرية



١٢ ١٣

دخلت الساحل الجنوبي لفلسطين في ١٥ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ ودخلت غزة بعد إنسحاب بريطانيا ووصلت عن طريق بئر السبع إلى الخليل وبيت لحم أيضاً، ومكثت هناك فترة محدودة.

وفي ١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨ وشحت مصر بكلمة «فلسطين» بالعربية والإنكليزية (صورة رقم ١٣). الطوابع التي كان معمولاً بها حينئذٍ في مصر، التي تحمل صورة الملك فاروق، ثم أخذت تصدر الطوابع التذكارية المختلفة على غرار مصر تماماً. مع إضافة كلمة «فلسطين» باللغتين. وذلك حتى ١ أيار (مايو) سنة ١٩٦٧. وكثيراً ما نشاهد اليوم غلافاتٍ تحمل الطوابع المصرية الأولى الموشحة «فلسطين»، مختومة في بيت لحم بتاريخ ١١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨.

وفي ١٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ سيطرت إسرائيل على جميع تلك المناطق.

حركة البيع والشراء

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء. وقد درسنا أحسن الأسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

أسئلة القراء

نرحب بجميع الأسئلة من القراء وهواة جمع الطوابع البريدية وسننشر في هذا المكان ما هو مهم ومفيد منها. أرسل إقتراحاتك وملاحظاتك إلى مجلة «تاريخ العرب والعالم» قسم الطوابع – ص.ب. (٥٩٠٥) بيروت لبنان ■

مسابقة الشهر

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
		■							١
			■	■					٢
		■						■	٣
		■					■		٤
		■				■			٥
		■			■				٦
		■					■		٧
■			■	■					٨
■					■				٩

أفقياً –

١ – بلد عربي مغتصب. إسم موصول

٢ – إبن عمري ملك على إسرائيل ٢٢ سنة ومات سنة ٨٩٧ ق.م. ذوب المعادن المصهورة.

٣ – بيتنا. قرع. ٤ – جمع ما يقابل النهار. للتفسير. ٥ – فكٍّ. ألا بعد وهو الجزء الثاني من إسم إحدى القبلتين (معكوسة).
٦ – ضد نهار. جواب متشابهان.

٧ – صحراء محتلة (معكوسة). سيّدة بالعامية. ٨ – مدينة في فلسطين. علم مؤنث.
٩ – ضد بُعد (معكوسة). مدينة في فلسطين (معكوسة).

عمودياً

١ – نوطة موسيقية. مهد السيد المسيح (معكوسة). ٢ – قبر. ملكي. مقياس أرضي. ٣ – استفهم. خائط خياطة أولية.
٤ – مدينة في فلسطين. ضمير متصل (معكوسة). ٥ – لقب السيد المسيح.
٦ – مدينة مقدسة. ٧ – بحر (معكوسة).
٨ – صفة لبيت لحم. ٩ – إسم كنيسة مشهورة.

حل مسابقة العدد الخامس

أفقياً:

١ – الخبر. أخف. ٢ – أسل. لاحية. ٣ – كليوباترا ٤ – حملايا. در.
٥ – لي. ٦ – دموع. درك. ٧ – الخميني
٨ – لاهوتي. ٩ – الابابة.

عمودياً:

١ – الأحمدي. ٢ – مرسل. ارنمّ.
٣ – خاتل. وي. ٤ – المعطاء. ٥ – يبتر.
خاب. ٦ – لاوي. أهل. ٧ – يخف.
بوادي. ٨ – خالد. ةة. ٩ – الكرنك.

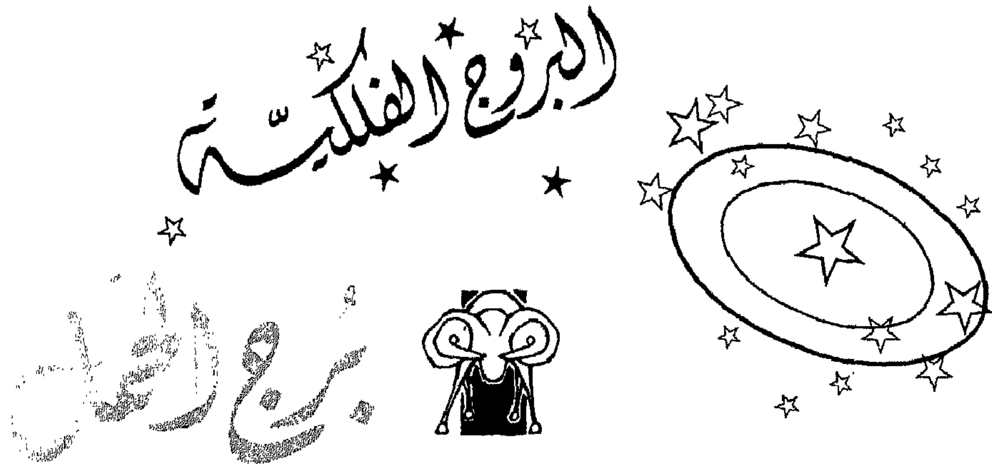
الفائزون في مسابقة العدد الرابع

الفائز الأول: نزار كحيلان – عمان – الأردن مائة ليرة لبنانية

* الفائز الثاني: محمد عبد الساتر – بعلبك – لبنان إشتراك سنة في المجلة

* الفائز الثالث: المهندس نزار عرنوق – طرطوس سوريا – ص.ب (٢٠٠). إشتراك بنصف سنة في المجلة

ملاحظة: وردتنا عشرات الأجوبة الصحيحة. ومما يلفت النظر أن جميع الفائزين قد إنتبهوا للخطأ الوارد في الصف الأفقي رقم ٩. وبنتيجة القرعة فاز ثلاثة منهم بالجوائز الثلاثة الأولى. نتمنى للجميع حظاً سعيداً في المرة القادمة.



٢٢ آذار (مارس) الى ٢٠ نيسان (ابريل)

منى تنير

بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فان فيها مقدارا من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، امثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وابي الريحاني البيروني.

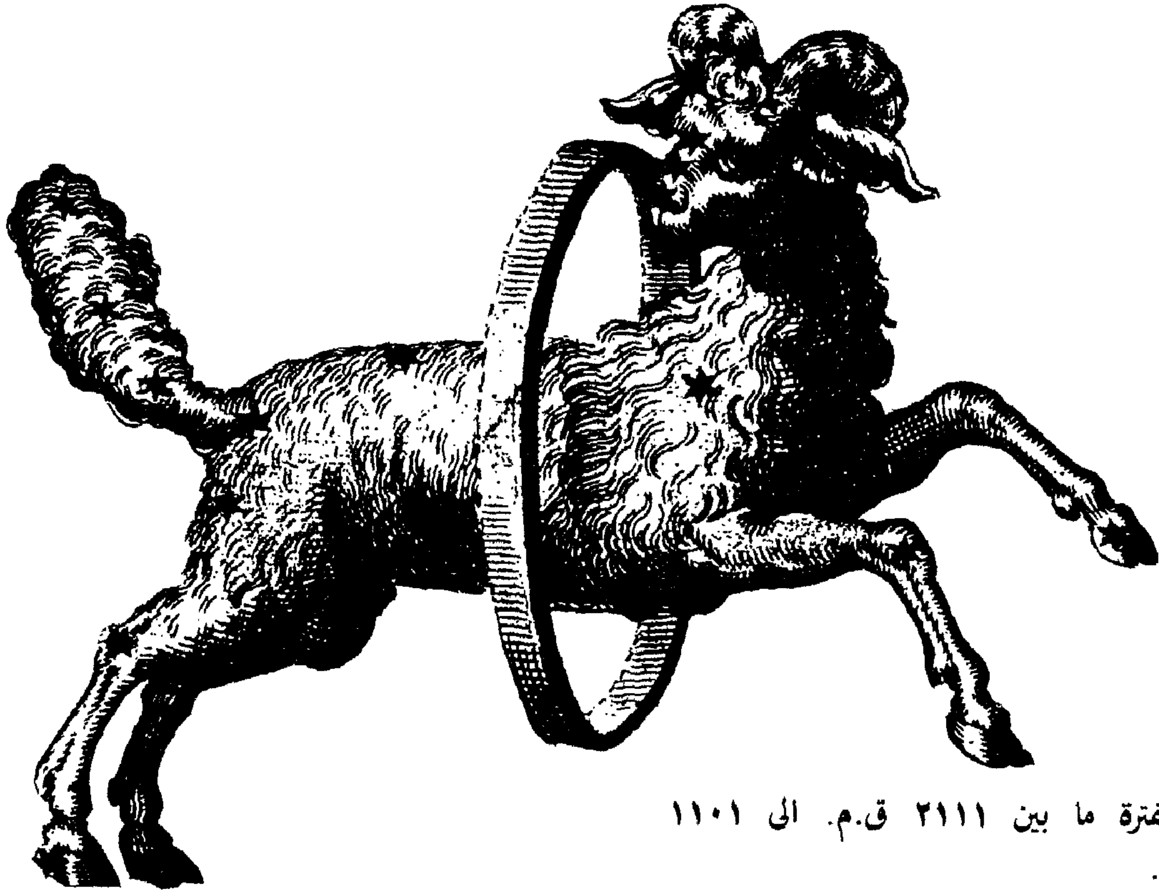
ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل الينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج الحمل:



■ **يرمز عادة الى برج الحمل بصورة «الكبش»، وذلك للدلالة على اهم الصفات الغريزية التي تميز هذا الحيوان عن غيره. من هنا فأن مواليد هذا البرج يمتازون عموماً بالحيوية والنشاط مما يدفعهم للعمل بلا خوف او تردد. إنهم يستندون الى فطنتهم ويتحملون مسؤولية ما يقومون به من أعمال. لذلك فان لهم كل الصفات التي تؤهلهم للقيادة. ان شجاعتهم تحثهم على اكتشاف اشياء جديدة. وهم بالتالي مضطرون لاتخاذ القرارات بسرعة، من غير أن يعني ذلك ان هذه القرارات، على اهميتها، هي بالضرورة منطقية وتناسب الظرف الخاص بها.**

ومن التقاليد التي أصبحت بمثابة قاعدة متبعة اليوم ان يرمز الى هذا البرج بصورة كبش يقفز من وسط دائرة الشمس، وهي اشارة الى بداية الربيع. لهذا السبب اتفق علماء التنجيم الفلكي على بدء تعداد البروج الـ ١٢ انطلاقاً من برج الحمل بالذات. ولاعجب ان توافق اطلالة هذا البرج بشائر الربيع الأولى، حينما تبدأ الطبيعة دورتها الجديدة.

ويختلف المؤرخون حول الأسباب التي دفعت قدامى المصريين الى اعتماد رمز برج الحمل كرمز لبلدة «طيبة»، المدينة المقدسة التي تبعد حوالي ٧٠٠ كلم جنوبي القاهرة. ربما كان سبب ذلك ان أوج ازدهار هذه المدينة تمّ في فترة اتسعت فيها حدود الامبراطورية الفرعونية الى اقصى حد لها، اي



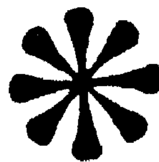
في الفترة ما بين ٢١١١ ق.م. الى ١١٠١ ق.م..

واستناداً الى ابحاث العلماء فان برج الحمل له تأثير مباشر في الرأس، وهذا ما يفسر طبيعة الصفات التي يتحلى بها مواليد هذا البرج عموماً.



من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الحمل نذكر: السياسي والقائد العسكري البروسى بيسمارك، موحد المانيا - شارلي شابلن - الممثلة جولي كريستي - توماس جيفرسون، رئيس الولايات المتحدة الاميركية بين عامي ١٨٠١و١٨٠٩ - الزعيم السوفياتي الراحل نيكيتا خروشوف - الرسام الهولندي فان غوغ - الكاتب الاميركي تينيسي وليامز - الممثل مارلون براندو - الممثلة دوريس داي - كازانوفا - الجنرال الاميركي باتون، أحد قادة الحرب العالمية الثانية - الفيلسوف الالماني فيلهلم رايخ - عمر الشريف ■





للطلاب فقط...

اعداد: سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

ماهو؟

صلح أنهى حرب الوراثة الإسبانية. تألف الصلح من عدة معاهدات وقعت سنة ١٧١٣ وأكملته معاهدتا راشتان وبادن سنة ١٧١٤ بين فرنسا والنمسا. وكان أهم أحكام هذه المعاهدات الإعتراف بفيليب الخامس ملكاً على اسبانيا ونقل ملكية الأراضي المنخفضة النمساوية أو البلجيك، وميلانو ونابولي وسردينيا إلى النمسا، وجبل طارق ومينورقة إلى بريطانيا، وصقلية إلى مملكة سافوا. واعترفت فرنسا بحق أسرة هانوفر في إعتلاء العرش الإنجليزي. وتخلى فيليب الخامس عن حق وراثة عرش فرنسا وظفرت إنكلترا بشروط مفيدة لتعزيز تجارتها.

ماهي؟

دولة برلمانية مستقلة عضو في الكمنولث البريطاني وتتكون من مجموعة جزر في جنوب المحيط الهادئ تبلغ مساحتها ٧,٧٠٧ أميال مربعة عدد سكانها يقارب ٥٢٧,٠٠٠ نسمة يتكلمون الإنكليزية والهندية بالإضافة إلى لغة الدولة الأصلية وهم يتوزعون بين المسيحية والهندوكية. أصبحت هذه الدولة أحد ممتلكات التاج البريطاني عام ١٨٧٤ وخلال الحرب العالمية الثانية كانت تضم قاعدة عسكرية بحرية وجوية هامة. ونالت البلاد إستقلالها في ١٠ تشرين الأول (أوكتوبر) عام ١٩٧٠.

من هو؟

مهندس وصناعي عربي ولد عام ١٦٨٠ وتوفي عام ١٧٤٨. كان حموي المولد من أصل حلبي من أسرة إمتهنت الصياغة والحفر والنقش والتصوير. اتقن مهنة أهله بالإضافة إلى سبك الفولاذ وصنع الساعات المائية والميكانيكية. أنشأ مع أخيه مطبعة في حلب ثم أنشأ واحدة أخرى لنفسه في دير يوحنا سنة ١٧٣٣. إبتدأ عمله فيها بطبع كتاب إسمه ميزان الزمان. أهم ما ميز مطبعته أن معظم ما كان فيها من آلات وحروف ومسابك ومصفات ومحابر ومكابس للنقوش والزخارف، سواء من الخشب أو النحاس أو الرصاص، كانت من تصميمه وصناعته هو. ترك عدداً من الكتب المتنوعة الإتجاه منها محاولات في اللاهوت، والأصول المنطقية والمواعظ. توفي في دير مار يوحنا ولا تزال مطبعته محفوظة في دير الصائغ.

من هو ؟

رياضي وفلكي إغريقي ولد عام ٦٤٠ ق.م وتوفي عام ٥٤٦ ق.م. إشتغل في مطلع شبابه بالتجارة. ثم تحول عنها إلى دراسة الرياضيات والفلك. واشتهر بالحكمة حتى صار واحداً من حكماء الإغريق السبعة. ويذهب بعض المشتغلين في تاريخ العلم إلى إعتباره أول عالم ظهر في اليونان. فلقد حدد موعد كسوف الشمس يوم الثامن والعشرين من أيار (مايو) سنة ٥٨٥ ق.م. وقد حدث ذلك كما توقعه، فكان ذلك أول توقع علمي محسوب لحدوث كسوف ثبت تدوينه في التاريخ. ويعود الفضل إلى هذا العالم في إكتشافه للكهربائية الساكنة أو الإستاتيكية وقد تمكن من حساب إرتفاع الهرم بقياس طول ظله ووضع عدداً من النظريات المتعلقة بالمثلث المتساوي الأضلاع، وحول تقاطع الخطوط، والزاوية في شبه الدائرة وغيرها.

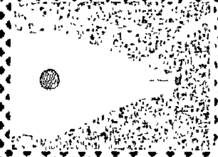
الفائزون في مسابقة العدد الرابع

* الفائز الأول : حسن محمد أبو نعسه – الجامعة اللبنانية – كلية الأداب – قسم اللغة الإنكليزية : مائة ليرة لبنانية.
* الفائز الثاني : مازن غانم – دمشق – شارع الفردوس – ثانوية إبن خلدون : إشتراك سنة في المجلة.
* الفائز الثالث : محمد أحمد صالح. ثانوية رأس النبع الرسمية : إشتراك نصف سنة في المجلة.

فائزون ولكن الحظ لم يحالفهم في القرعة :

* حسين علي زعرور : الشياح – ثانوية حارة حريك الرسمية.
* محمد عاطف بيلون : ثانوية الغبيري الرسمية الثالثة.
* سلمان عبد الوهاب العريض – مدرسة المنامة الثانوية الصناعية البحرين – الخليج العربي.
* طارق محمد حسن جابر – الرياض.
* بسام بعلبكي : الجامعة اللبنانية
* أسامة جواد رضا : جامعة بيروت العربية
* سمر سكر : معهد العلوم الإجتماعية.
* محمد عماد دمج : المدرسة البطريركية.

بريد القراء



السيد جورج يوسف طعمة ،

لقد سررنا غاية السرور. بتجاوبكم مع «تاريخ العرب والعالم». وثق أننا نعتبر ملاحظاتك سنداً لنا في سبيل تحسين أداء المجلة في خدمة قرائها.

◀ ملاحظاتك جميعها في محلها ولا شك.

الملاحظة الأولى تتعلق «بليوبولد هوهن زولارن». والجملة يجب أن تقول إنه «ترشح لعرش إسبانيا بعد ثورة إسبانيا عام ١٨٦٨، وهو من الأسرة التي حملت التاج الأمبراطوري في ألمانيا بين العام ١٧٠١ والعام ١٩١٨». والواضح أن الجملة المعترضة كان يجب أن يتغير موقعها.

أما عن وضوح الجملة المتعلقة «ببرقية أمز» فهي مسألة تخص الكاتب إلى حد كبير. وفي هذا الشأن، فان أسرة تحرير المجلة تظل محدودة الصلاحية في التبديل والتعديل.

والملاحظة الثالثة تتعلق بعدد سكان اليهود في القدس القديمة والجديدة. فثمة خطأ مطبعي، ويجدر القول أن عدد سكان القدس «الجديدة» (لا القديمة) من اليهود في ذلك الحين نحو مائة ألف نسمة. فنعتذر عن هذه الأخطاء، ونؤكد مرة أخرى أنه لولا إهتمامك ودقتك لما جاءت هذه الملاحظات المفيدة.

أما عن «المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام»، فإن المؤتمرات عن التاريخ هي من إختصاص المجلة أيضاً. وهذا لا يعني أننا لن نهتم بأبحاث المؤتمر. وسنبدأ بنشر بعض الأبحاث المختارة التي قدمت في المؤتمر، إبتداء من العدد الخامس.

ولكم خالص الشكر

* ومن الخبر، في المملكة العربية السعودية كتب الأخ طاهر حسين أحمد المريسي:

«انني من محبي مجلتكم العربية والتي تعتني بأخبار الأمة العربية خاصة والعالم أجمع. وقد نالت إعجاب الكثيرين لما فيها من مواضيع شيقة ومسلية في نفس الوقت. كما أني وباسم أصدقائي الذين يتابعون المجلة نتقدم إلى كل العاملين وإلى كل من ساهم في إخراج هذه المجلة إلى حيز الوجود بحلتها الجديدة والجميلة بجزيل الشكر والتقدير».

◀ نشكر لك عواطفك الطيبة.

* وكتب لنا السيد عبد القادر محمود الحصان، وهو طالب أردني يدرس في أسطنبول، رسالة قال فيها:

أشكر لكم جزيل الشكر مساهمتكم الحقة في المجلة، واني لأشكر لكم جهودكم لاخراج هذه المجلة العزيزة إلى حيز الوجود. إنني اتابع مجلتكم الغالية واحرص على كل عدد من أعدادها. وعلى أن يصل إلي دوماً، لأنها حقاً مجلة كل عربي مثقف حيثما كان على وجه الأرض.

◀ ونحن نرد التحية بمثلها ونأمل في مواصلة الفوز برضى القراء.

* السيد حسن محمد أبو نعسه، وهو مجاز في التاريخ. ويتابع الدراسة الآن في

قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، كتب يقترح تخصيص صفحة في المجلة لزاوية بعنوان «في سبيل موسوعة تاريخية»، تحتوي على أهم أحداث العالم أو أهم المعارك أو المعاهدات. كما طالب بموضوع في كل عدد عن واحدة من أهم معارك العالم. وأضاف، إن مدى فرحته وتعلقه بالمجلة لا يصدقان.

نشكر لك عاطفتك، ونتمنى لك ولنا التوفيق. أما فيما يتعلق باقتراحك الأول، فاننا نقترح على القراء موسوعة غير مختصرة في الواقع، مكونة من موضوعات المجلة. فإذا لاحظت، اننا نحرص في المجلة على أن تكون الموضوعات في كل شهر متخصصة: فموضوع للحضارات القديمة، وموضوع أو أكثر عن تاريخ لبنان، وموضوع عن تاريخ النضال الفلسطيني، وموضوع عن التجسس، الى آخره. وسنبدأ في أقرب فرصة ممكنة سلسلة في موضوع معارك عربية تاريخية. ولا بأس أن تضاف الى هذه فيما بعد معارك عالمية. وأما المعاهدات فلها موضوع في كل عدد. كما لاحظت بلا شك. واننا نرحب بمقترحاتك ونسعى الى تنفيذها قدر المستطاع. لكن الأهم فيها هي أنها ترشدنا إلى رغبات القراء الأعزاء فلك الشكر تكراراً.

* للأخ ابراهيم خليل – الرياض – ص.ب ٢٥٧٩. حولنا رسالتك للعقيد الدكتور ياسين سويد للإجابة عليها. شكراً لإهتمامكم.

◄ رسائل كثيرة وردتنا في شأن الشطرنج اقترح بعضها تنظيم «مباراة أو دورة بالشطرنج بالمراسلة. فيسمح لكل هواة لبنان الإشتراك بها».

* والواقع أن هذا الإقتراح أحيل على الأستاذ محمد سكر للدرس. وطموحنا في الواقع أن نصل إلى كل الهواة العرب في لبنان وغيره.

كذلك طلب منا عدد من القراء أن نفرد مكاناً للكوبونات بحيث لا يؤدي قطعها إلى إفساد المجلة لمن يريد حفظها «لأن كل ما في المجلة جيد وبعضها يلحقه التشويه بسبب تمزيق الكوبونات».

الاقتراح أخذ طريقه إلى التنفيذ فوراً.

الى القراء الأعزاء

نظراً لكثرة الرسائل، وهذا شئ يغبطنا جداً، يرجو المسؤول عن «بريد القراء» أن يكتب القراء الأعزاء الذين يودون مراسلتنا أو الاشتراك في أية مسابقة، أن يكتبوا اسماءهم على الرسالة ذاتها، وليس على المغلف فقط، فذلك يسهل علينا كثيراً ويجنبنا مغبة إختلاط الأسماء إذا ما اختلطت المغلفات.

* القارئ ميشال شعنين، محلة مار مخايل، بيروت، أشاد بالمجلة وقال «انها تسد فراغاً كبيراً في الحقل الصحافي والثقافي معاً ليس في لبنان فحسب بل في كافة البلاد العربية.

ولفت الإنتباه إلى أن الشخصين اللذين ظهرا في الصورة (ص ٦٢ العدد الرابع) في موضوع ليلة الأمواس الطويلة، هما روم وهيملر، وليسا روم وغوبلز كما ورد.

* «جل من لا يخطئ» يا سيد شعنين، كما قلت، وكل الشكر لهذه الملاحظة، ولاهتمامك.



كوكبة الرامي على ما يرى في الكرة



بُرج القَوس كَما وَصفهُ الإمَام الصّوفي



نقود ذهبية وفضية
سكها السلطان
محمد الثاني العثماني